

يزيد بن حاتم المهلبى نموذج مشرف للوالي المسلم دراسة تحليلية لدوره الحضاري في مصر والمغرب
د. عبد الرب محمد سعيد الصنوي
أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة المشرق، كلية التربية زبيد، جامعة الحديدية، اليمن
alsanawi200@gmail.com

تاريخ قبول البحث: ٢٠٢٦/٥/٣ م

تاريخ تسلم البحث: ٢٠٢٦/٤/٨ م

الملخص:

تركز هذه الدراسة على التعريف بالدور الحضاري المتميز الذي اضطلع به الوالي يزيد بن حاتم المهلبى. وقد قُسم البحث بعد المقدمة إلى محاور عدة: بدأت بالتعريف بأسرة المهالبة، ويزيد نفسه، ونشأته الأولى، ثم تناول البحث ظهور يزيد كقائد ووالٍ متميز من قادة للدولة العباسية في بلاد المشرق. وبعد ذلك تناول دوره وإنجازاته في مصر - وقد تولى حكمها من قبل الخليفة العباسي. ثم تناول دخوله المغرب وضبط أمورها التي كانت في غاية الفوضى والانفلات، وبعدها إنجازاته الحضارية في المغرب. ثم كان الانتقال إلى تناول جوانب أخرى من سيرة هذا الوالي منها: لمحات عن عدله وحسن سيرته في الرعية، وحلمه ونبل أخلاقه، ثم تمت الإشارة إلى علم يزيد بن حاتم نفسه وما قيل عنه والثناء عليه، وبعد ذلك تطرق البحث إلى رعايته للعلماء والأدباء وازدهار الحياة الثقافية في عهده. وأنتهى البحث باستخلاص، أو ما يُعرف بالخاتمة. لتقديم أهم ما توصلت إليه الدراسة.

الكلمات المفتاحية: يزيد بن حاتم، المهلبى، المهالبة في مصر والمغرب.

Yazid ibn Hatim Al-Muhallabi: A Shining Example of a Muslim Governor An Analytical Study of his Civilizational Role in Egypt and Al-Maghrib

Dr. Abdul Rab Mohammed Saeed Al-Sanawi

Associate Professor of Islamic History and Civilization, Faculty of
Education, Zabid, University of Hodeidah, Yemen

alsanawi200@gmail.com

Date of Receiving the Research: 8/4/2026 Research Acceptance Date: 3/5/2026

Abstract:

This study focuses on defining the civilizational role undertaken by Governor Yazid ibn Hatim Al-Muhallabi. Following the introduction, the research is divided into several sections: it begins with an introduction to the Muhallab family and to Yazid himself, including his early upbringing. The research then examines Yazid's emergence as a distinguished leader and governor among the Abbasid state's commanders in the Mashreq (Eastern) regions. Subsequently, the study addresses his role and achievements in Egypt, where he was appointed as governor by the Abbasid Caliph. It then discusses his entry into the Maghreb and his stabilization of its affairs which had been in a state of extreme chaos and disorder, followed by his civilizational achievements in the Maghreb.

The research then shifts to addressing other aspects of this governor's biography, including glimpses of his justice and exemplary conduct toward his subjects, as well as his forbearance and noble character. The study also provides references Yazid ibn Hatim's own knowledge, what was said about him, and the praise he received. Furthermore, the research examines his patronage of scholars and writers, and the flourishing of cultural life during his era. The research concludes with a summary, or what is known as a conclusion, presenting the most important findings of the study.

Keywords: Yazid ibn Hatim, Al-Muhallabi, Al-Mahalibah in Egypt and Al-Maghrib.

المقدمة:

يتكرر اسم القائد المهلبى يزيد بن حاتم كثيراً في المصادر العربية باعتباره قائداً عسكرياً فذاً، ووالياً متميزاً في إدارته، كان الخلفاء العباسيون، حين تشتدُّ الأزمات في بعض ولايات الدولة، يجدون في هذا القائد خيرَ مَنْ يقوم بمهمة إخماد التمردات على دولتهم وإعادة ترتيب الأمور وضبط الأمن فيها، وتحقيق الاستقرار في الولايات التي يُرسل لتولي أمورها، وانعكاس ذلك في تطور شامل في مختلف مناحي الحياة فيها. وللأسف لم نجد بحثاً مستقلاً يدرس هذا القائد وانجازاته الحضارية، وهي مشكلة هذا البحث، وتتمثل في هذا التباين بين الدور المهم لهذا القائد، وغياب الاحتفاء في الدراسات الأكاديمية بهذا الدور الحضاري المهم في تاريخ العرب المسلمين، فكل ما تم تناوله عنه -بحسب ما وجدناه في أبحاث وكتب قليلة- كان في سياق مواضيع عامة، أو في سياق تناول جانب مُحدّد في تاريخ المهالبة كدورهم الحضاريّ أو في سياق شعرائهم. وهذا ما دفعني إلى الإسهام في سدّ هذا النقص، من خلال القيام بهذه الدراسة التي تهدف إلى تقديم قراءة تحليلية شاملة لدور يزيد بن حاتم المهلبى، فضلاً عن أهداف أخرى تنبثق منها مثل: تحليل الأسس التي قامت عليها سياساته الإدارية والإصلاحية، وتقييم الإنجازات الحضارية له في ولايتي مصر- والمغرب، وهما من أهم ولايات الدولة العباسية، واستخلاص ملامح تجربته في إدارة الولايتين، انطلاقاً من سيرته وأخلاقه.

اعتمدت الدراسة في تحقيق هذه الأهداف على المنهج التاريخي التحليلي، الذي يقوم على جمع الروايات التاريخية من مصادرها الأولية، ونقدها وفحص مدى اتساقها، ثم تركيبها في صورة مترابطة. كما استعانت بالمنهج الوصفي لتصوير الواقع السياسي والاجتماعي الذي تولى فيه يزيد بن حاتم مقاليد الحكم، فضلاً عن القيام بالاستقراء والاستنباط لتحليل الوقائع واستخلاص الدلالات منها، وسيوضح هذا في تفاصيل هذه الدراسة.

وهذا العمل يُعدُّ من أبسط حقوق مثل هذه الأعلام التاريخية المتميزة، لعلها تكون درساً مفيداً في حاضر ومستقبل أمتنا، تتعلّم منه الأجيال. وأرجو أن تكون هذه الدراسة قد أسهمت بتقديم الجديد للمكتبة العربية، كما أرجو أن تكون فاتحةً للاهتمام بتاريخ هذا الرجل الفذّ ودوره، خدمةً لتاريخ الأمة، ونفعاً لأجيالها في كل حين. ونسأله تعالى أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم.

وتمّ تقسيم البحث بعد هذه المقدمة كما يأتي:

يبدأ البحث بتوطئة عن أسرة المهالبة وأصولها، يليها محور يتناول النشأة الأولى ليزيد بن حاتم ومسيرته العسكرية والسياسية المبكرة في المشرق. ثم ينتقل إلى المحور الرئيسي الأول، وهو تحليل مدة ولايته على مصر وإنجازاته الإدارية فيها. ويأتي المحور الرئيسي الثاني ليتناول بالدراسة مرحلة ولايته على المغرب وجهوده في إعادة الاستقرار والإعمار فيه. ثم يلي ذلك محور لتحليل السمات الشخصية والقيمية للوالي، مثل العدل والحلم، ومحور آخر يستعرض دوره في رعاية الحياة الثقافية والعلمية. وينتهي البحث باستخلاص، أو ما يُعرف بالخاتمة لتقديم أهم ما توصلت إليه الدراسة.

المحور الأول: التعريف بالمهالبة ويزيد بن حاتم:

- نسب المهالبة:

يتنسب المهالبة إلى أبي سعيد المهلب بن أبي صفرة ظالم بن سراق بن صبح بن كندى بن عمرو بن عدي بن وائل بن حارث بن العتيك بن الأسد بن عمران بن عمرو مزيقياء بن عامر بن ماء السماء بن حارثة الغطريف بن أمراء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد^(١) (ابن عساكر - ١٩٩٥م - ٢٨٠ / ٦١؛ ابن خلكان - ١٩٨٦م - ٣٥٠ / ٥) بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان^(٢) (الاصفهاني - د. ت - ١٥ / ١٤؛ ابن حزم - ١٩٨٢م - ٣٩٧) الأزدي القحطاني. ويقال إن أبا المهلب لقّب بأبي صفرة لأنّ له بنتاً اسمها صفرة^(٣) (ابن خلكان - ١٩٨٦م - ٣٥٠ / ٥؛ ابن حجر العسقلاني - ١٤١٥ هـ - ١٨٥ / ٧)، وبها كان يُكنى، وقيل سُمّي بذلك لأنّه كان يُصَفّر لحيته^(٤) (الاصفهاني - د. ت - ٢٠ / ٨٦). ويعود أصل المهلب إلى أزد العتيك أو أزد دُبابا، وهي من القبائل العربية التي هاجرت من موطنها في اليمن واستقرت في منطقة دُبابا^(٥) (ابن سعد - ١٩٦٨م - ١٠١ / ٧؛ الذهبي: ١٤١٣ هـ - ٣٨٣ - ٣٨٤ يذكره بنسبه العتكي)، ودُبابا من دُن بلاد عُمان^(٦). ويبدو أنّ المهالبة ظلّوا على ارتباط وثيق الأصرة بموطنهم عُمان، إذ نرى ذلك في موقف الوالي داود بن يزيد بن حاتم المهلب الذي كان من كبار قادة وولاة العباسيين، إلّا أنّه بعث برسالة إلى والي صُحار في عُمان يُخدّهم بمسير القائد العباسي عيسى بن

(١) تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، أبو القاسم علي بن حسن بن هبة الله (ت ٥٧١ هـ / ١١٧٦ م): تاريخ مدينة دمشق، ٢٨٠ / ٦١؛ وفيات الأعيان، ابن خلكان، ٣٥٠ / ٥.

(٢) ينظر الأغاني، أبو الفرج الاصفهاني، ١٤ / ١٥؛ جمهرة أنساب العرب، ابن حزم، ص ٣٧٩؛ وفيات الأعيان، ابن خلكان، ٣٢٣ / ٤.

(٣) ينظر وفيات الأعيان، ابن خلكان، ٣٥٠ / ٥؛ الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، ١٨٥ / ٧.

(٤) ينظر الأغاني، أبو الفرج الاصفهاني: ٨٦ / ٢٠.

(٥) ينظر الطبقات الكبرى، ابن سعد، ١٠١ / ٧؛ سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٣٨٣ / ٤ - ٣٨٤ يذكره بنسبه العتكي.

(٦) دُبابا: بفتح أوله، والقصر، مدينة قديمة، قال الأصمعي: سوق من أسواق العرب بعُمان. يُنظر معجم البلدان، ياقوت الحموي، ٤٣٥ / ٢. وفي الوقت الراهن فإنّ دُبابا ولاية تتبع محافظة مسندم في سلطنة عُمان. يُنظر

[https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AF%D8%A8%D8%A7_\(%D8%AF%D8%A8%D8%A7\)](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AF%D8%A8%D8%A7_(%D8%AF%D8%A8%D8%A7)).

جعفر إليهم بأمر من ابن عمه الخليفة هارون الرشيد للسيطرة على عُمان وإخراجها من أيديهم، وهو ما مكّنهم من الاستعداد لهذه الحملة وهزيمتها دون تحقيق هدفها، بل وأسروا قائدتها^(٧). وبصورة عامة فإنّ للمهالبة دوراً مهماً في التاريخ العربي الإسلامي، وهناك العديد من الدراسات التي تناولت أدوارهم في هذا التاريخ في المشرق والمغرب^(٨).

- يزيد بن حاتم المهلبّي الأزدي:

نسبه: هو ابو خالد يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة ظالم بن سراق بن صُبح...^(٩) الأزديّ القحطانيّ. أي أنّ المهلب بن أبي صفرة هو جدّ أبيه. وأمّا ما ذكره ابن تغري بردي^(١٠) بإضافة النسب الطائي له، فإنّه لا يصحّ، بحسب ما هو معروف في أشهر كتب الأنساب المُعتبرة، إذ إنّ طيّع قبيلة قُضاعة تنتسب إلى قبيلة حمير بن سبأ، في حين أنّ قبيلة الأزد تنتسب إلى قبيلة كهلان بن سبأ.

النشأة:

الواقع أنّ المصادر المتاحة لا نجد فيها ما يبيّن طبيعة النشأة الأولى لهذا القائد الكبير. ومع ذلك يمكن القول من خلال معرفتنا بتاريخ المهالبة الذين حرصوا على تربية أبنائهم تربية صالحة، وتأهيلهم ليكونوا أعلاماً في ميادين العلم والأدب والإدارة المدنية، والفروسية والقيادة العسكرية بكفاءة متميزة، وهو ما عُرف عن كثير من أبناء المهالبة في تاريخ العرب المسلمين،

(٧) يُنظر كتاب المحبر، ابن حبيب، ص ٤٨٨؛ تاريخ الرسل والملوك، الطبري، ٣١٧/٨؛ تحفة الأعيان، السامي، ١١٨/١؛ الأعلام، الزركلي، ١٠٨/٨.

(٨) يُنظر على سبيل المثال المؤلفات الآتية: المهلب بن أبي صفرة، العبود، ٦١. المهلب بن أبي صفرة حياته وجهاده في الإسلام، عادل اسماعيل خليل: مجلة آداب البصرة - العدد ٤١، السنة ٢٠٠٦م؛ شعر المهالبة في العصر العباسي، المومني؛ آل المهلب العمانيون في المشرق الإسلامي، عبد المنعم عبد الحميد؛ دور آل المهلب إبان العصر العباسي الأول، صالح رمضان حسن: مجلة جامعة تكريت للعلوم، المجلد ١٩ - العدد ٦، حزيران (تكريت - العراق، ٢٠١٢م)؛ "الدور الحضاري للمهالبة في بلاد المغرب"، الندابي، ناصر بن علي بن سالم: مجلة الخليل للدراسات اللغوية والأدبية، جامعة نزوى - مركز الخليل بن أحمد الفراهيدي للدراسات العربية والإنسانية، مجلد ٤، عدد ٧، (مسقط، ٢٠١٩م)، وهناك العديد من الكتب والابحاث غيرها، بعضها منشور على شبكة المعلومات الدولية.

(٩) سبق ذكر تسلسل آبائه في ذكر نسب المهالبة.

(١٠) ينظر النجوم الزاهرة، ابن تغري بردي: ١/٢.

وَيَصِفُ أَحَدَ الْمُؤَرِّخِينَ الْكِبَارِ (١١) جَمَاعَةَ الْمَهَالِبَةِ بِقَوْلِهِ: " وَهُمْ أَهْلُ بَيْتٍ كَبِيرٍ اجْتَمَعَ فِيهِ خَلْقٌ مِنْ الْأَجَادِ الْأَنْجَادِ النَّجَبَاءِ ". وَكَانَ يَزِيدُ بْنُ حَاتِمٍ بْنُ قَبِيصَةَ الْمَهْلَبِيِّ الَّذِي نَحْنُ بِصَدْدِهِ مِنْ أَهَمِّ أَوْلَثِكَ الْأَعْلَامِ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْقَادَةِ الْأَبْطَالِ، وَأَصْحَابِ السَّيْرِ الَّتِي تُعَدُّ نُمُودَجًا مَشْرَفًا لِلْوَلَاةِ وَالْقَادَةِ فِي التَّارِيخِ الْعَرَبِيِّ الْإِسْلَامِيِّ، كَمَا سَيَتَضَحُّ مِنْ خِلَالِ هَذِهِ الدِّرَاسَةِ.

أولاده:

أَنْجَبَ يَزِيدُ بْنُ حَاتِمٍ عِدَّةً مِنَ الْأَبْنَاءِ، وَيَبْدُو أَنَّهُ قَدْ أَحْسَنَ تَرْبِيَتَهُمْ - عَلَى عَادَةِ آبَائِهِ الْمَهَالِبَةِ - عَلَى مُحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ، وَالْعُلُومِ، وَالْأَدَبِ، إِلَى جَنْبِ الْفُرُوسِيَّةِ وَمَهَارَةِ الْقِيَادَةِ، إِذْ أَصْبَحُوا يُشَاهِبُونَهُ، كَمَا سَنَعْرِفُ عَنْهُ فِي سِيَاقِ هَذِهِ الدِّرَاسَةِ. وَقَدْ أوردتُ الْمَصَادِرُ عِدَّةً مِنْ أَسْمَاءِ أَبْنَائِهِ، وَلَعَلَّ ابْنَ حَزْمِ الْأَنْدَلُسِيِّ (١٢) كَانَ أَكْثَرَ إجمالاً، إِذْ يَذْكُرُ مِنْهُمْ:

١. **المغيرة بن حاتم:** كَانَ أَحَدَ قَادَةِ الْجَيْشِ الْعَبَاسِيِّ، وَقَدْ قُتِلَ فِي بِلَادِ السَّنَدِ.
٢. **داود بن يزيد:** وَهُوَ مِنْ كِبَارِ قَادَةِ وَوَلَاةِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ فِي عَهْدِ الْخَلِيفَةِ هَارُونَ الرَّشِيدِ، إِذْ كَانَ وَالِدُهُ يَزِيدُ بْنُ حَاتِمٍ قَدْ اسْتَخْلَفَهُ عَلَى وِلَايَةِ إِفْرِيقِيَّةِ (١٣) بَعْدَهُ، ثُمَّ وَلَّاهُ الرَّشِيدُ عَلَى مِصْرَ سَنَةِ ١٧٤ هـ (١٤)، ثُمَّ وَلَّاهُ عَلَى بِلَادِ السَّنَدِ، بِحَسَبِ مَا ذَكَرَهُ الطَّبْرِيُّ (١٥) فِي أَحْدَاثِ سَنَةِ (١٨٤ هـ / ٨٠٠ م). وَكَانَ جَوَاداً مَمْدُوحاً مَعْدُوداً فِي أَدْبَاءِ الْأُمَرَاءِ (١٦).
٣. **خالد بن يزيد:** وَلِي بِلَادِ جَرْجَانٍ، وَيَذْكُرُ ابْنُ الْأَثِيرِ (١٧) أَنَّهُ كَانَ عَلَى وِلَايَةِ الْمَوْصِلِ سَنَةَ ١٩١ هـ / ٨٠٦ م، وَكَانَتْ بَدَايَةُ وِلَايَتِهِ عَلَيْهَا فِي السَّنَةِ السَّابِقَةِ لَهَا (١٨).

(١١) الْوَافِي بِالْوَفَايَاتِ، الصَّفْدِيُّ: ٤٨ / ٢٨.

(١٢) جَمْهَرَةُ أَنْسَابِ الْعَرَبِ، ابْنُ حَزْمٍ: ص ٣٧٠.

(١٣) الْبَيَانُ الْمَغْرِبِ، ابْنُ عَذَارِي: ٨٢ / ١؛ مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ، يَاقُوتُ الْحَمَوِيُّ: مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ، ١ / ٢٣٠.

(١٤) يُنْظَرُ كِتَابُ الْوَلَاةِ، الْكَنْدِيُّ: ص ٣٨٤؛ الْحُلَّةُ السَّيْرَاءُ، ابْنُ الْأَثَرِ: ٣٦٠ / ٢.

(١٥) تَارِيخُ الرِّسْلِ وَالْمُلُوكِ، الطَّبْرِيُّ: ٢٧٢ / ٨؛ وَكَذَلِكَ الْمُنْتَظَمُ، ابْنُ الْجَوْزِيِّ: ٩٢ / ٩؛ الْكَامِلُ فِي التَّارِيخِ، ابْنُ الْأَثَرِ: ٣٣٥ / ٥.

(١٦) الْحُلَّةُ السَّيْرَاءُ، ابْنُ الْأَثَرِ: ٣٦٠ / ٢.

(١٧) الْكَامِلُ فِي التَّارِيخِ، ٣٧٣ / ٥.

(١٨) يُنْظَرُ الْعَبْرُ وَدِيَاوَانُ الْمُبْتَدَأِ وَالْخَبَرِ، ابْنُ خَلْدُونٍ: ٢٨٧ / ٣.

٤. عبد الله بن يزيد: عبد الله بن يزيد بن حاتم المهلبى الأزدى: أمير. استعمله ابن عمه الفضل ابن رُوح - أمير إفريقية - على مدينة تونس، فخرج إليه أهلها، وكانوا قد نبذوا الطاعة، فقتلوه قبل أن يصل إليها سنة ١٧٨هـ / ٧٩٤م (١٩).
٥. محمد بن يزيد: أمير وقائد شجاع. ولّاه الأمين العباسي إمرة الأهواز، فأقام فيها إلى أن هاجمها طاهر بن الحسين داعياً للمأمون، فقاتله المهلبى وأنفص أصحابه عنه فثبت إلى أن قُتل على باب الأهواز (٢٠). وكان أبوه - أثناء ولايته على إفريقية - قد استعمله على بلاد الزاب وكتامة (٢١).
٦. إسحاق بن يزيد: لا نعرف الكثير عنه - بحسب ما اطلعنا عليه من مصادر - سوى ما ذكره الرقيق القيرواني (٢٢) عنه، وهو ما يفيد بأنه كان رجلاً صالحاً يتقبل النصيح برحابة صدر وأخلاق فاضلة، كما أن أباه الوالى يزيد حين رأى كثرة ما يملك ابنه إسحاق من أغنام، "أمر بالغنم أن تذبح وتُباح للناس".
٧. سعيد بن يزيد: يبدو أنه كان قائداً وأديباً، من أهل الحكمة وحسن التدبير والدهاء العسكري، فقد نصح ابن عمه الفضل بن رُوح بن حاتم والى إفريقية أثناء مواجهته لأحد أعدائه وهو عبد الله بن الجارود المعروف بعبدويه الأنباري الذي خرج عليه بتونس، وحذّره من العواقب، وخاطبه في ذلك بشعر، ولكن الفضل لم يعمل بنصيحته، فاقتحم ابن الجارود مدينة القيروان واستولى عليها في سنة ١٧٨هـ / ٧٩٤م، ثم قام ابن الجارود بقتل الفضل بن رُوح (٢٣).
٨. زيد بن يزيد: لم أعر على ترجمة تبيّن أعماله، ولكن يبدو أنه كان شاعراً ناقداً متمكناً في ذلك، إذ نجده يقف حكماً بين شاعرين يهجو كل منهما الآخر، وأصلهما أيضاً من المهالبة، وقد صاغ حُكمه في أبيات جميلة من الشعر (٢٤).

(١٩) ينظر الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٥ / ٣٠٠؛ الأعلام، الزركلي: ٤ / ١٤٦؛ وينظر شعر المهالبة في العصر - العباسي، المومني: ص ٩.

(٢٠) ينظر ترجمته في كل من: تاريخ الرسل والملوك، الطبري: ٨ / ٤٣٢ - ٤٣٥؛ تاريخ الإسلام، للذهبي: ٤ / ١٠٣٨؛ الأعلام، الزركلي: ٧ / ١٤٤.

(٢١) ينظر تاريخ إفريقية والمغرب، الرقيق القيرواني: ص ١٢٦.

(٢٢) المصدر نفسه، ص ١٢٢ - ١٢٣.

(٢٣) الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٥ / ٢٩٩ - ٣٠٠؛ الحلة السيرة، ابن الأبار: ١ / ٧٩.

(٢٤) ينظر الأبرار ونصوص الأخبار، الزمخشري: ٤ / ٢١٧ - ٢١٨.

٩. المهلب بن يزيد: كان أبوه يزيد بن حاتم قد عينه حاكماً على بلاد الزاب وطبنة وكثامة (٢٥) ببلاد المغرب.

ويقول ابن حزم: إن يزيد بن حاتم المهلبى له أولاد آخرون غير هؤلاء الذين ذكرهم (٢٦). ويقول الرقيق القيرواني (٢٧): "وكان له أولاد مذكورون مشهورون بالشجاعة والإقدام والكرم والإنعام في أيام أبيهم وبعد وفاته..."

ومما تقدم، يتبين لنا مدى حرص القائد يزيد بن حاتم على التنشئة الصالحة لأولاده، ليصبحوا أعلاماً يُشار إليهم بالبنان كما هو حال أسلافه من المهالبة، الذين جمعوا بين مهارات القيادة والشجاعة والأدب والشعر، فضلاً عن التحلي بالخلق القويم، وهي تربية تعكس في الوقت نفسه إسهام هؤلاء القادة في صنع أجيال من الرجال الصالحين الذين أسهموا بدورهم أيضاً في خدمة مجتمعات بلدان المسلمين.

المحور الثاني: يزيد بن حاتم القائد والوالي:

- يزيد بن حاتم في بلاد المشرق:

كما أسلفنا عن عدم معرفة البدايات الأولى ليزيد بن حاتم، غير أن الواضح أنه كان يتمتع بميزات وقدرات خاصة لفتت انتباه كبار رجال الدولة العباسية، ويصبح من ثم من الرجال المحظيين في بلاط الخلافة، إذ يقول أحد المؤرخين عنه: "وكان يزيد بن حاتم خاصاً بأبي جعفر المنصور، فكان لا يُحجَب عنه، وتولّى ولايات كثيرة قبل قدومه المغرب" (٢٨).

وقد بدأ ظهور القائد يزيد بن حاتم المهلبى على نحو واضح في بلاد المشرق، إذ كان من عمال الخليفة أبي جعفر المنصور من العرب (٢٩). وبحسب ما تذكره المصادر، فقد تولّى أرمينية والسند، وأذربيجان. والواضح أنه كان قد حاز ثقة كبيرة متميزة لدى الخليفة المنصور، الذي أمر أن يدخل عليه يزيد بن حاتم المهلبى دون الحاجة للمرور على حاجبه، ويبدو أنه كان يستشير في بعض الأمور المهمة، أو هو يُشير للخليفة أبي جعفر المنصور بنصائح يراها ضرورية، ومن ذلك

(٢٥) العبر وديوان المبتدأ والخبر، ابن خلدون: ١٤٨/٦.

(٢٦) جهرة أنساب العرب، ابن حزم: ص ٣٧٠؛ ويُنظر شعر المهالبة في العصر العباسي، المومني: ص ٨.

(٢٧) تاريخ افريقية والمغرب، الرقيق القيرواني: ص ١١٢.

(٢٨) المصدر نفسه، ص ١١٣؛ ويُنظر الحلة السرياء، ابن الأبار: ٧٣/١؛ البيان المغرب، ابن عذاري: ٨١/١.

(٢٩) تاريخ اليعقوبي، اليعقوبي: ٣٨٤/٢.

نصيحته له بأن لا يسمح ليزيد بن عمر بن هبيرة الدخول عليه بذلك العدد الكبير من أتباعه^(٣٠). ويذكر أنه كان له دور في التخلص من ابن هبيرة الفزاري^(٣١)، للذي كان يراه بعض أفراد البيت العباسي يشكّل خطراً على حكمهم^(٣٢).

ويمكن القول من خلال بعض النصوص، إن القائد يزيد بن حاتم المهلبى كان أيضاً من القادة الذين يحرصون على التوصل إلى أفضل الحلول دون إراقة دماء اخوانهم المسلمين، إذ كان يحرص على دعوة زعماء العشائر والجماعات إلى الحلول السلمية، ومثال ذلك ما جرى مع النضر بن حميد اللخمي زعيم أهل الشام في نهاوند الذي كان موالياً للأمويين، إذ رفض النضر أن يتخلّى عن بيعته للخليفة الأموي، ولكنه حين رأى أن للدائرة قد دارت عليهم من قبل الجيش العباسي، لم يجد إلا قبول ما أشار عليه القائد يزيد بن حاتم بأن ينهوا تحصّنهم في نهاوند، ولهم الأمان في الخروج حيثما شاءوا. وكان يزيد بن حاتم قد استعان به القائد الحسن بن قحطبة الطائي وإلى العباسيين في جرجان^(٣٣).

وكان الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور (٩٥-١٥٨ هـ / ٧١٤-٧٧٥ م) قد أرسل يزيد بن حاتم إلى بلاد المشرق على رأس حملة للقضاء على بعض التمردات هناك، ولكن لم نقف على تفاصيل الدور الذي قام به هناك. وكل ما وجدناه بعض الشذرات: إذ يذكر يعقوبي أن الخليفة أبا جعفر المنصور ولي "أرمينية يزيد بن أسيد السلمي، وولي أذربيجان يزيد بن حاتم المهلبى، فنقل اليمانية من البصرة إليها، وكان أول من نقلهم"، وكانوا يشكّلون معظم العرب هناك"، فلم يكن بأذربيجان من نزار أحد إلا الصفر بن الليث العتبي وابن عمه البعث بن حليس^(٣٤). وهنا يكون القائد يزيد بن حاتم قد قام بعمل مهم لإيجاد توازن ديموجرافي بين العرب وسكان أذربيجان، وهي خطوة مهمة أيضاً في سبيل الإسراع في تعريب أهل هذه المنطقة.

(٣٠) ينظر الإمامة والسياسة، ابن قتيبة الدينوري: ٢ / ٣٠٤-٣٠٥؛ تاريخ الرسل والملوك، الطبري: ٧ / ٤٥٥؛ المقفى الكبير، المقرئ: ٤ / ١٨٥.

(٣١) تاريخ إفريقية والمغرب، الرقيق القيرواني: ص ١١٣؛ ويُنظر الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٥ / ٣٢.
(٣٢) للتفاصيل يُنظر تاريخ إفريقية والمغرب، الرقيق القيرواني: ص ١١٣؛ تاريخ مدينة دمشق، ابن عساکر: ٦٥ / ٣٣٣.
(٣٣) للتفاصيل يُنظر أخبار الدولة العباسية، مجهول: ص ٣٥١-٣٥٣، وترجمة ابن قحطبة في الأعلام، الزركلي: ٢ / ٢١١.

(٣٤) ينظر تاريخ يعقوبي، يعقوبي: ٢ / ٣٧١.

كما قام بعددٍ من الحملات في بلاد المشرق، نكتفي بالإشارة إليها، نظراً لتوجُّه البحث نحو الدور الحصارى، وصرف النظر عن تفاصيل الدور العسكري، ومن تلك الحملات: في سنة ١٣٧هـ/ ٧٥٤م قاد يزيد حملةً لمواجهة الخارجي مُلَبَّد بن حَرَمَلَةَ الشَّيبَانِي الذي خرج مُحَكِّمًا - أي يدعو بدعوة الخوارج - بِنَاحِيَةِ الْجَزِيرَةِ، فهزمه مَلَبَّد (٣٥). وأرسله أبو سلمة الخلال إلى عين التمر على رأس حملة قوامها أربعمائة جندي (٣٦). وأرسله المنصور في حملة عسكرية مع قائد آخر هو محمد بن الأشعث إلى خراسان للقضاء على مُرَّد أحد الولاة وهو جمهور (أو جهور) بن مَرَّار العَجَلِي، فتمكننا من هزيمته ليُفَرَّ إلى أذربيجان، وهناك قام أصحاب جمهور هذا بالغدر به وقتله، وأتوا برأسه ليزيد بن حاتم، ويقال إن ذلك كان في سنة ١٤٣هـ (٣٧) / ٧٦٠م. ويبدو أن قلة أعداد الجند كانت السبب في عدم تمكنه من تحقيق انتصارات حاسمة.

- يزيد بن حاتم في مصر:

لا شك أن اختيار الخليفة المنصور العباسي للقائد المتميز يزيد بن حاتم لولاية مصر - التي تُعدُّ من أهم ولايات الدولة العربية الإسلامية - إنما كان تقديرًا للدور الذي قام به في بلاد المشرق وحسن قيادته وإدارته في معالجة الأوضاع المختلفة هناك العسكرية والمدنية، ورأى أنه خير من سيقوم بضبط الأمور في مصر، هذه الولاية ذات الأهمية الكبيرة التي يُقال إن حُكْمَهَا يعادل حُكْمَ خلافة. يقول الرقيق القيرواني (٣٨): "قال يزيد بن حاتم: لما ولاني المنصور مصر - دخلت عليه، وكنت لا أُحِبُّ عنه، فقال لي: يا أبا خالد، بادِر هذا النيل قبل خروج الرليات الصُفَر وأصحاب الدواب البُر".

يذكر الطبري (٣٩) أن يزيد بن حاتم ولي مصر للخليفة المنصور في سنة ١٤٣هـ، ولكن من خلال ما ذكره المؤرخ الكندي (٤٠) من تفاصيل لأحداث عزل حميد بن قحطبة الطائي عن ولاية مصر، وتولية يزيد بن حاتم، فإن الأرجح أن ولايته كانت في أواخر السنة التي تليها، إذ يُحدِّد

(٣٥) تاريخ الإسلام، الذهبي: ٣/ ٦٠٥.

(٣٦) المقفى الكبير، المقرئ: ٤/ ١٤٨.

(٣٧) ينظر مرآة الزمان، سبط ابن الجوزي: ١٢/ ٦٤ - ٦٥.

(٣٨) تاريخ أفريقية والمغرب، ص ١١٣.

(٣٩) تاريخ الرسل والملوك، ٧/ ٥١٥.

(٤٠) كتاب الولاة، الكندي: ص ١١١.

الكِنْدِيِّ أَنَّ تلك الأحداث جرت كلها خلال شهر ذي القعدة سنة ١٤٤ هـ/ فبراير ٧٦٢م، وأنَّ وصولَ يزيد بن حاتم كان "يوم الاثنين للنصف من ذي القعدة سنة أربع وأربعين ومائة" (٤١).

انجازاته في مصر:

- ضبط الأمن والاستقرار:

ولا شكَّ أيضاً، أنَّ حُكَّام الدولة كانوا يُدركون أنَّ الأمنَ والاستقرارَ يُمثِّلان العاملَ الأهمَّ لتوطيد حُكْمهم على ولايات الدولة، ولذلك كانوا يحرصون على اختيار الولاة الذين يمتلكون الكفاءات القيادية والعسكرية التي تُحقِّق لهم هذا الهدف بصورة أساسية. وكان يزيد بن حاتم المهلبى مَنْ توفَّرت فيه هذه الشروط، فضلاً عن سيرته الطيبة علماً وخُلُقاً. وكان الخليفة المنصور العباسي قد اختاره لولاية مصر - حينها بدأت الأوضاع تسوء فيها، وقد عرفنا قبل قليل طلب الخليفة المنصور منه ضبط أمور مصر، بقوله: يا أبا خالد، بإدْرِ هذا النيلَ قبلَ خروج الرايات الصُّفَر وأصحاب الدَّواب البُئر " (٤٢). وقد تمكَّن يزيد بالفعل من القضاء على حركات التَّمرد، وإقرار الأوضاع بصورة عامة (٤٣)، وإنَّ ظهرت فيما بعد بعض المشاكل مثل خروج القبط في مدينة سخا (٤٤)، إلا أنَّ تلك التَّمردات لم تكن بالخطورة التي تهدد أمن الولاية بصورة عامة.

- تعيين أفضل الرِّجال على أعماله:

على الأمن: كان يزيد بن حاتم يحرص على تعيين أفضل الرِّجال في تَوَلَّى المسؤوليات المختلفة في وظائف الولاية، المشهود لهم بالكفاءة والصَّلاح، فيسأل ويستشير العارفين بهم، ولذلك نجده في بداية ولايته على مصر - يولِّي مسؤولية الشرطة أحدَ أحفاد القائد معاوية بن حُديج التَّجيبى - الذي كان من أشهر قادة الدولة الأموية وله دور كبير في السيطرة على مصر - لصالح الأمويين - وحفيده هذا هو عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية بن حُديج التَّجيبى (٤٥)، الذي تُشير سيرته إلى أنَّه كان محلَّ تقدير الجميع، إذ نجد أنَّ والي مصر السابق حُميد بن قحطبة كان قد استشار أهل الشأن من الجُند عن أفضل رجل ليوَلِّيه مهام الشرطة - بعد أن عزَلَ عنها محمد بن معاوية

(٤١) المصدر نفسه، ص ١١١؛ تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ١٣٨/٦٥؛ النجوم الزاهرة، ابن تغري بردي: ١/٢.

(٤٢) تاريخ افريقية والمغرب، الرقيق القيرواني: ص ١١٣.

(٤٣) للتفاصيل يُنظر كتاب الولاة، الكندي: ص ١١١ - ١١٧.

(٤٤) المصدر نفسه، ص ١١٦.

(٤٥) كتاب الولاة، ص ١١١؛ النجوم الزاهرة، ابن تغري بردي: ١/٢.

بن بجير الذي أتى إليه خبر يقدر في سلوكه - فأشاروا عليه أن يولي عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج (٤٦). وقد أثبت عبد الله بن حديج جدارته في هذا المنصب الأمني الخطير، ويؤكد هذا أن الخليفة المنصور عينه والياً على مصر - خلفاً ليزيد بن حاتم (٤٧)، ومن المحتمل أن يكون يزيد بن حاتم نفسه قد أشار على المنصور بتعيينه، إذ كان يزيد يستخلفه على ولاية مصر - حين يذهب إلى الحج (٤٨).

كما عين الوالي يزيد بن حاتم على الشرطة قائداً آخر - من آل المهلب - مشهوداً له بحسن السيرة أيضاً والكفاءة الإدارية، وهو نصر بن حبيب المهلب، وسنعرف بعد قليل تقدير وإعجاب الوالي يزيد بن حاتم والخلافة بالقائد نصر بن حبيب، فحين انتقل يزيد إلى ولاية إفريقية ظل نصر - معه على منصب قائد الشرطة هناك، وفيما بعد أصبح والي إفريقية في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد (٤٩).

على الحجاج: أما الحجاج - وهي أيضاً من أهم الوظائف في الدولة - فقد قام يزيد بن حاتم بتعيين معاوية بن مروان بن موسى بن نصير عليه (٥٠)، والمعروف عن القائد الشهير موسى بن نصير وأولاده أنهم كانوا من رجال الدولة المتميزين في القيادة والإدارة، كما هو حال معاوية بن حديج التجبي وبنيه.

على القضاء: كان يزيد بن حاتم في ولايته يحرص على اختيار أفضل العلماء الفقهاء للقضاء ممن يشهد لهم بالتقوى والاستقامة والصلاح، وحسن سيرتهم لدى الناس. وعند بداية ولايته على مصر، عين يزيد بن حاتم على القضاء أبا خزيمة إبراهيم بن يزيد الرعيني الثاني (٥١)، بعد أن

(٤٦) كتاب الولاة، الكندي: ص ١١٠.

(٤٧) كتاب الولاة، الكندي: ص ١١٧؛ النجوم الزاهرة، ابن تغري بردي: ١٧/٢؛ ويذكر البعض أن المذي خلف يزيد بن حاتم على مصر - هو الوالي محمد بن سعيد، ثم جاء بعده عبد الله بن عبد الرحمن بن حديج، يُنظر المتظلم، ابن الجوزي: ١٥٥/٨، الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ١٧٦/٥، والأرجح ما ذكره الكندي كما بيّنا في المتن.

(٤٨) المقفي الكبير، المقرئ: ٤/٤٢٠.

(٤٩) ينظر الحلة السيرة، ابن الأبار: ٣٦٢/٢؛ البيان المغرب، ابن عذاري: ٨٥/١؛ الأعلام، الزركلي: ٢٢/٨.

(٥٠) كتاب الولاة، الكندي: ص ١١١؛ النجوم الزاهرة، ابن تغري بردي: ١/٢.

(٥١) ترجمته في كل من: تاريخ ابن يونس، ابن يونس: ٣١/١؛ كتاب الولاة، الكندي: ص ٣٦٣؛ الإكمال، ابن ماكولا: ١٦٢/١، ٥٧٣، ٥١٤/٢؛ الأنساب، السمعاني: ١٣٠/٣؛ تكملة الإكمال، ابن تظمة: ٥٥٩/٢؛ اللباب في تهذيب الأنساب، ابن الأثير: ٢٣٦/١؛ رفع الأصر عن قضاة مصر، ابن حجر العسقلاني: ص ٣٦-٣٨.

كَانَ قَدْ حَاوَلَ أَنْ يُعَيِّنَ فَقِيهًا آخَرَ هُوَ الْفَقِيهَ حَيَّوَةَ بْنِ شُرَيْحٍ التَّجِييَّيَّ (٥٢)، وَلَكِنَّ الْعَالِمَ الزَّاهِدَ شُرَيْحَ أَبِي بَكْلٍ صَرَامَةً أَنْ يَقْبَلَ تَوَلَّى الْقَضَاءَ، فَاخْتَارَ يَزِيدُ بْنُ حَاتِمٍ الْقَاضِيَّ لُبَّاءَ خَزِيمَةَ إِبْرَاهِيمَ الرُّعَيْنِيِّ (٥٣) عَلَى الْقَضَاءِ، وَهَذَا الْقَاضِي أَيْضًا كَانَ مِنَ الزَّاهِدِينَ الْعَابِدِينَ، وَقَدْ تَوَلَّى هَذَا الْمَنْصِبَ مِنْ قَبْلُ عَلَى كُرْهِهِ مِنْهُ، بَعْدَ أَنْ عَرَضَهُ الْأَمِيرُ أَبُو عَوْنٍ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنِ يَزِيدٍ عَلَى السَّيْفِ (٥٤)، لِيُجَبَّرَ عَلَى الْقَبُولِ. وَيَبْدُو أَنَّكَ كَانَ عَلَى حَظٍّ جَيِّدٍ مِنْ عِلْمِ الْحَلِيثِ، فَقَدْ حَدَّثَ عَنْ يَزِيدِ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ، وَرَوَى عَنْهُ الْمُفَضَّلُ بْنُ فَضَالَةَ، وَخَالِدُ بْنُ حَمِيدٍ، وَجَرِيرُ بْنُ حَازِمٍ، وَرِشْدِينَ بْنُ سَعْدٍ وَغَيْرِهِمْ (٥٥). وَقَدْ ظَلَّ أَبُو خَزِيمَةَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ يَزِيدِ الرُّعَيْنِيِّ عَلَى قَضَاءِ مِصْرَ - حَتَّى وَفَاتِهِ فِي ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةِ ١٥٤ هـ (٥٦) / تَشْرِينَ أَوَّلَ (أَكْتُوبَر) ٧٧١ م، أَيْ أَنَّ وُلَاةَ مِصْرَ بَعْدَ يَزِيدِ بْنِ حَاتِمِ الْمُهَلْبِيِّ أَقْرَبُوهُ عَلَى هَذَا الْمَنْصِبِ بِالْبُلْغِ الْأَهْمِيَّةِ، وَهُوَ مَا يُشِيرُ إِلَى جِدَارَتِهِ فِيهِ، فَضْلًا عَنْ صَلَاحِهِ وَحُسْنِ سِيرَتِهِ، وَحُسْنِ اخْتِيَارِ الْوَالِي يَزِيدِ بْنِ حَاتِمٍ لَهُ. وَالرَّاجِحُ أَنَّ اخْتِيَارَ مِثْلِ هَذَا الْقَاضِي الصَّالِحِ عَلَى حَاضِرَةِ مِصْرَ، سَيَّبَعَهُ اخْتِيَارُ قَضَاةٍ صَالِحِينَ لِمَدَنٍ وَمَنَاطِقٍ مِصْرَ الْأُخْرَى فِي عَهْدِ يَزِيدٍ.

- التَّنْظِيمُ الْإِدَارِيُّ وَالْحَضَرِيُّ:

- تَنْفِيذًا لِأَوَامِرِ الْخَلِيفَةِ الْمَنْصُورِ، قَامَ يَزِيدُ بْنُ حَاتِمٍ بِالتَّحْوِيلِ مِنْ مَدِينَةِ الْعَسْكَرِ إِلَى مَدِينَةِ الْفُسْطَاطِ، وَجَعَلَ الدَّوَاوِينَ فِي كِنَاسِ الْقَصْرِ، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ ١٤٦ هـ (٥٧) / ٧٦٣ م. وَيَبْدُو أَنَّ هَذَا الْإِجْرَاءَ كَانَ الْغَرَضُ مِنْهُ تَحْقِيقَ هَدَفٍ أَمْنِيٍّ وَقَائِيٍّ، وَهُوَ حَايَةِ دَوَاوِينَ الْوَلَايَةِ، وَهَدَفٍ إِدَارِيٍّ وَهُوَ اسْتِمْرَارُ الْأَعْمَالِ الْإِدَارِيَّةِ بَعِيدًا عَنْ خَطَرِ بَعْضِ الْمُنْتَزِعِينَ الْخَارَجِينَ عَلَى حُكْمِ الْعَبَاسِيِّينَ، فَقَدْ كَانَ هَؤُلَاءِ الْخَارَجِينَ قَدْ خَطَّطُوا لِلْهَجُومِ عَلَى الْوَالِي يَزِيدٍ وَحَصْرِهِ فِي مَدِينَةِ

(٥٢) حَيَّوَةُ بْنُ شُرَيْحٍ بْنُ صَفْوَانَ الْمِصْرِيِّ الْفَقِيهَ (ت ١٥٨ هـ / ٧٧٤ م): أَبُو زُرْعَةَ. مِنْ رُؤُوسِ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ بِدِيَارِ مِصْرَ. رَوَى عَنْ: رَبِيعَةَ بْنِ يَزِيدِ الْقَصِيرِ، وَعُقْبَةَ بْنِ مُسْلِمٍ، وَيَزِيدِ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ، وَغَيْرِهِمْ. وَعَنْهُ: ابْنُ الْمُبَارَكِ، وَأَبُو وَهْبٍ، وَآخَرُونَ. وَتَقَى أَحْمَدُ وَعَبْرَةُ. وَيَقَالُ إِنَّهُ كَانَ مَجَابِ الدَّعَاءِ. يَنْظُرُ تَارِيخَ الْإِسْلَامِ، الذَّهَبِيُّ: ٤ / ٤٤ - ٤٥.

(٥٣) كِتَابُ الْوَلَاةِ، الْكَنْدِيُّ: ص ٣٦٣.

(٥٤): تَارِيخُ ابْنِ يُونُسَ، ابْنِ يُونُسَ: ١ / ٣١.

(٥٥) الْإِكْمَالُ، ابْنُ مَكُولَا: ١ / ١٦٢، ٢ / ٥١٤، ٣ / ٢٣١.

(٥٦) كِتَابُ الْوَلَاةِ، الْكَنْدِيُّ: ص ٣٦٨.

(٥٧) الْمَصْدَرُ نَفْسُهُ، ص ١١٥.

العسكر، والقيام بمحاولة اغتياله في السنة السابقة^(٥٨)، وعليه فالراجح أن هذا الأمر من الخليفة إنما صدر ليزيد بن حاتم بناء على طلبه أو اقتراحه للخليفة أبي جعفر المنصور.

- وحينما شكّت جماعات من قبيلة المعافر البيانية إلى يزيد بن حاتم بعد الماء عنهم، ابتنى لهم يزيد بن حاتم فسقية المعافر، وأجرى إليها الماء من ساقية أبي عون. والواضح أن هذا المشروع كان كبيراً، إذ أنفق عليه مالاً عظيماً، حتى أن الخليفة المنصور لامه في شيء من التأنيب، وقال له: لم أنفق مالي على قومك^(٥٩). والراجح أن يزيد كان يرى أن إقامة هذا المشروع الحضري أصبح من الضرورة بمكان، إذا ما عرفنا أن جماعات عشائر المعافر كانت من أكثر جماعات القبائل عدداً في مصر منذ أيام الفتح، ويشير إلى ذلك بيت الشعر هذا في قصيدة عبد الرحمن بن عبد الحكم التي أوردها الكندي^(٦٠):

وسدّت معافر أفق البلاد
بمرعد جيش لها مبرق

وكان ذلك حين وقفت عشائر كثيرة من المعافرين ضد الخليفة الأموي مروان بن الحكم عند دخوله مصر سنة ٦٥هـ / ٦٨٥م، فكانوا أكبر الكتل، إذ يذكر أن عددهم كان (عشرين ألف) مقاتل في الجيش الذي تصدّى لمروان ومن معه^(٦١). كما أن المعافرين اشتهروا بأنهم "أهل جد ونجدة،... مشاقين للملوك لقاحاً لا يدينون لأحد"^(٦٢)، ولذلك فإن الحكمة تقتضي - عدم خلق أسباب تؤدي إلى إرهاب المعافرين وإنزعاجهم من السلطة، وحقنهم عليها، وهم أكبر أعوانها، وهذا ما قام به الوالي يزيد بن حاتم المهلبى كما نرى.

- وكان الوالي يزيد بن حاتم قد منع الناس من الحج في سنة ١٤٥هـ، فلم يحج في تلك السنة أحد من مصر ولا من الشام لما كان بالحجاز من الاضطراب من أمر بني الحسن، ثم حج يزيد في سنة ١٤٧هـ، فاستخلف على مصر - عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج صاحب شرطته^(٦٣)، وهو ما يشير إلى أن الأولوية كانت ترسيخ الأمن والأمان والقضاء على الفتن ومثيرها.

(٥٨) يُنظر تفاصيل ما قام به هؤلاء المعارضون فيما جاء في كتاب الولاة وكتاب القضاة، للكندي: ص ١١١ وما بعدها.

(٥٩) المصدر نفسه، ص ١١٥.

(٦٠) المصدر نفسه، ص ٤٤.

(٦١) المواعظ والاعتبار، المقرئ: ٣٥٢ / ٤.

(٦٢) معجم البلدان، ياقوت الحموي: ٦٧ / ٥.

(٦٣) النجوم الزاهرة، ابن تغري بردي: ٣ / ٢.

- على أن من أهم ما تحقق في عهد الوالي يزيد بن حاتم المهلبى هو زيادة الرقعة الجغرافية لولاية مصر، وذلك حين تم إضافة بلاد بركة^(٦٤) إلى ولاية مصر، يقول الكندي^(٦٥): " وضم يزيد بن حاتم بركة إلى عمل مصر - وهو أول من ضمها إليه، وأمر عليها عبد السلام بن عبد الله بن هبيرة السبائي وذلك في سنة ثمان وأربعين ومائة. ويبدو أن ضم بركة إلى ولاية مصر ليزيد بن حاتم كان بمباركة من الخليفة المنصور في سنة ١٤٨ هـ / ٧٦٥ م، مكافأة وتقديرًا لهذا الوالي وجهوده المخلصة التي رسخت سيطرة الخلافة على مصر. وفي كتاب ابن تغري بردي^(٦٦) جاء تاريخ تعيين العامل عبد السلام بن عبد الله بن هبيرة السبائي على بركة أنه كان في سنة ١٤٩ هـ / ٧٦٦ م. ويبدو أن عبد السلام السبائي الحميري هذا كان عالمًا كبيراً وفقهياً متمكناً، ولذلك تم تعيينه على القضاء في بركة من قبل الوالي يزيد المهلبى^(٦٧) - الذي يعد أيضاً من الولاة الفقهاء -. وكما أسلفنا في الكلام عن حسن اختيار يزيد لعماله ورجاله، فقد رأى أن الفقيه عبد السلام السبائي هو أفضل وأصلح من يتولى قضاء بركة، لاسيما وأنها أصبحت ضمن مناطق ولايته مصر لأول مرة.

انتهاء ولايته على مصر:

كانت نهاية ولاية يزيد بن حاتم على مصر في سنة ١٥٢ هـ / ٧٦٩ م. ويحدد ابن عساكر^(٦٩) أن المنصور صرفه عنها في ربيع الآخر من هذه السنة. ولا نعرف الظروف التي دعت الخليفة المنصور لعزل واليه يزيد عن ولاية مصر، لاسيما وأنه كان من أفضل ولاته، ولم نعلم - بحسب المصادر المتاحة - شكاوى أو تذمرًا من أهل مصر، بل العكس هو الصحيح، فقد ساء

(٦٤) بركة: بفتح أوله والقاف: اسم صقع كبير يشتمل على مذن وقرى بين الاسكندرية وإفريقية، واسم مدينتها أنطابلس وتفسيره الخمس مدن. وأرض بركة أرض خلوقية بحيث ثياب أهلها أبدا محمرة لذلك، ويحيط بها البرابر من كل جانب. وفي بركة فواكه كثيرة وخيرات واسعة مثل جوز ولوز وأترج وسفرجل. يُنظر معجم البلدان، ياقوت الحموي: ١ / ٣٨٨-٣٨٩.

(٦٥) كتاب الولاة، ص ١١٦.

(٦٦) النجوم الزاهرة، ٣ / ٢.

(٦٧) الإكمال، ابن ماکولا: ١ / ٤٨٢ وجاء فيه "السبي" بدلاً من السبائي، وهو نسب صحيح أيضاً لأن سبيان من حمير وحمير من سبأ.

(٦٨) تاريخ الرسل والملوك، الطبري: ٨ / ٤١.

(٦٩) تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ٦٥ / ١٣٨.

أهل مصر- عزّل الوالي يزيد المهلبى فبكوا عليه كما عبّر عن ذلك الشاعر ربعة الرقيّ في قصيدة مشهورة أوّلها:

بكى أهل مصر- بالدموع السّواجم غداة غدا عنها الأغرُّ بن حاتم^(٧٠)
ولا نعلم أيضاً مأخذاً عليه جعل المنصور يتخذ هذا القرار بعزله، وقد سبق القول إنّه كان محلّ ثقة وتقدير من قبل الخليفة المنصور حتّى أنّه كان لا يُحبّب عليه، فيدخل عليه دون الحاجة إلى طلب الإذن بذلك. وعليه، فالرّاجح - فيما نرى - أنّ المنصور كان بحاجة إلى خدمات هذا القائد والإداريّ الفذّ، والاسترشاد بمشورته في القضايا التي تتعلّق بأمر الدولة، وقد رأينا كيف كان ليزيد دوره فيما اقترح على المنصور عملة لمواجهة القائد ابن هيرة الفزاريّ. وسنجد أنّ الخليفة المنصور لم يلبث بعد سنتين أن اختار يزيد بن حاتم لمهمة خطيرة لمواجهة الخارجين على دولته من جماعات الخوارج في المغرب، فأرسله على رأس حملة كبيرة، وأنفق عليها أموالاً عظيمة على الرّغم ممّا قيل عن بخل المنصور وشحّه في انفاق المال، وعيّنهُ أيضاً والياً على بلاد المغرب. وهكذا يمكن القول إنّ المنصور لم يعزل يزيد بن حاتم عن ولاية مصر- إلّا لحاجته إليه في أمور يراها أكثر أهمية لدولته الفتية. وفيما يأتي سنكون مع هذا القائد المهلبى في ولايته لبلاد المغرب ودوره الحضاريّ فيها.

- يزيد بن حاتم في بلاد المغرب:

على عكس مصر، كانت ولاية يزيد بن حاتم المهلبى قد استغرقت وقتاً أطول في المغرب، إذ لم تنتهِ إلّا بوفاته، وهو ما يُشير إلى ثقة الخلفاء العباسيين بكفاءة هذا الوالي وحُسن إدارته كما أسلفنا. وقد عاصر خلافة كلّ من المنصور، والهادي، والمهديّ، وجزءاً من خلافة هارون الرّشيد^(٧١).

أ- ظروف وأسباب اختياره لولاية المغرب:

كما هو حال الخلفاء الأمويّين، كان الخلفاء العباسيون أيضاً يُدرِكُون الأهمية الكبيرة لبلاد المغرب لدولتهم، وأورد الرّقيق القيروانيّ^(٧٢) ما يُشير إلى ذلك بقوله: " وكان أبو جعفر عالماً بالمغرب خائفاً عليه، وكان لا يبعث إليه إلّا أهل ثقته من ذوي الرأي الأصيل والخطر الجليل...

(٧٠) يُنظر العقد الفريد، ابن عبد ربه: ١/ ٢٤١، ٢٥٨، ٦/ ١٥٥.

(٧١) يُنظر معجم البلدان، ياقوت الحموي: ١/ ٢٣٠.

(٧٢) تاريخ إفريقية والمغرب: ص ١١٣.

قال يزيد: ولما ولاني [المنصور] المغرب انتهى في تشييعي إلى فلسطين". ولا شك أن تشييع الخليفة لأي قائد عسكري يُعدُّ في العُرف الرسمي للدولة تقديراً وتكريماً كبيراً له، وتميزاً له اعتبارات ودلالات خاصة تُشير إلى تميُّز ذلك القائد في بطولاته وكفاءته القيادية والعسكرية، وحُسن إدارته، اكتسبته تلك المكانة الرفيعة وذلك التَّشريف المتميِّز، حتى أن الخليفة المنصور كان يُحدِّث نفسه في شيء من التَّوجُّس لمُبالغته في تكريم هذا القائد المهلبى بحسب ما جاء في كتاب ابن الأثير^(٧٣)، الذي يقول: "وكان المنصور يقول ما أخطأت في شيء من تدبيري إلا في ثلاثة أشياء: تشييع يزيد بن حاتم: أرايت لو نكث، أكان يحسن بي أن أرجع أو كان يحسن بي أن ألقى الجيش بنفسي، ويوم الزاوندية وقوفي على باب الذهب: أرايت لو أن رجلاً رمانى بسهم أليس دمي كان يذهب ضياعاً، وقتلي أبا مسلم وأنا في الحرق ومعه أهل خراسان ثلاثون ألفاً يعبدونه من دون الله". ولثقتَه أيضاً بهذا القائد، فإن الخليفة المنصور على الرَّغم مما عُرِفَ عن شُحِّه، إلا أنه أنفق أموالاً عظيمة على هذا الجيش الذي يقوده يزيد بن حاتم - ويبلغ عدده خمسين ألف جندي، للقضاء على الخارجين على سُلطته في بلاد المغرب - يُقال إنها بلغت (٦٣ مليون درهم)، وكان ذلك سنة ١٥٤هـ / ٧٧٠م^(٧٤).

انجازاته في بلاد المغرب:

- ضبط الأمن وإقرار الأوضاع:

لن نخوض في تفاصيل الدور العسكري لعمليات مواجهة المعارضين، ولا سيما جماعات الخوارج والقضاء على حركاتهم، في إفريقية وأجزاء أخرى من بلاد المغرب^(٧٥)، وما يهمننا أنه وصل بلاد إفريقية سنة ١٥٤هـ / ٧٧٠م، وتمكَّن بعد وقائع عديدة أن يضبط الأوضاع الأمنية بالقضاء على خطر تلك الحركات المعارضة لسلطة الخلافة، وكان خطراً قد استفحل بصورة تُهدِّد سيطرة الدولة العباسية على المغرب، حتى أنهم تمكَّنوا من قتل واليها هناك عمر بن حفص المهلبى، واستطاع يزيد بن حاتم أن يستعيد إفريقية من قبضتهم سنة ١٥٥هـ / ٧٧٢م، ويُمهِّد

(٧٣) الحلة السراء، ١ / ٧٤.

(٧٤) يُنظر فتوح البلدان، البلاذري: ص ٢٣٠؛ تاريخ اليعقوبي، اليعقوبي: ٢ / ٣٨٦؛ تاريخ الرسل والملوك، الطبري: ٨ / ٤٤؛ شذرات الذهب، ابن العمد: ٢ / ٢٤٧.

(٧٥) للتفاصيل ينظر عبد الحميد: ص ٣٥٨ وما بعدها؛ ٥٠؛ أثر القبائل العربية في الحياة المغربية، مصطفى أبو ضيف: ص ١٩٠ وما بعدها.

قواعدها، ويدخل مدينة القيروان حاضرة الولاية في جمادى الآخرة من هذه السنة، واستقامت له بلاد المغرب (٧٦)، ويُعبّر عددٌ من العلماء والمؤرخين عن النتائج الإيجابية لما قام به والي المغرب يزيد بن حاتم المهلبى في فرض الأمن والاستقرار، وتشجيع الناس على العمل والبناء، سوف نستعرض بعضها بعد قليل في سياق الحديث عن علمه وما قيل من ثناء في حقّه. وهكذا تحققت فُرَاسة الخليفة أبي جعفر المنصور في أن الخلاص سيكون على يد هذا القائد المهلبى، لما له من ملكات قيادية، وخبرات عسكرية وإدارية.

- تعيين أفضل الرجال على أعماله:

تعيين قادة الأمن: كما عَرَفنا عن القلند يزيد في اختيار أفضل الرجال في الأعمال المختلفة، فقد اختار ابن عمّه نصر- بن حبيب المهلبى الذي كان قائد شرطته في مصر- ليتولّى قيادة شرطته في إفريقية أيضاً، وقد أشرنا إلى ما ذُكِرَ عن صلاح هذا الوالي وحُسن سيرته، ويقول ابن الأبار (٧٧) عن نصر- هذا: " وكان محمود السيرة محبباً إلى الناس ذا أدبٍ ومعرفة ". وسوف يُصبح هذا القائد المهلبى فيما بعد والياً على إفريقية للخليفة هارون الرشيد الذي ولّاه سنة ١٧٤ هـ، فأقام في الولاية ستين وثلاثة أشهر، ومُحِدت سيرته (٧٨). وهكذا تتأكد خبرة الوالي يزيد في معرفة معادن الرجال.

تعيين الحكام على المناطق المختلفة: ولتعزيز السيطرة على أجزاء الولاية الشاسعة في مساحتها، والمختلفة في تضاريسها، عيّن يزيد عدداً من القادة الحُكّام على مناطقها المختلفة. وكان من أبنائه من بين أولئك القادة مثل المهلب بن يزيد بن حاتم الذي كان قد عيّن حاكماً على بلاد الزّاب وطُبنة وكُتامة، وكذلك ابنه محمد بن يزيد (٧٩)، وقد سبق أن ذكرنا أبناء يزيد وأنهم كانوا من كبار قادة الدولة العباسية في مناطق عدّة من ولايات الدولة، ولا بدّ أنهم قد اكتسبوا العلم والخبرة من والدهم في القيادة والإدارة.

(٧٦) يُنظر فتوح البلدان، البلاذري: ص ٢٣٠؛ تاريخ الرسل والملوك، الطبري: ٤٤ / ٨، ٤٦؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ١٨٢ / ٥، ١٨٤؛ البيان المغرب، ابن عذاري: ٧٩ / ١؛ العبر وديوان المبتدأ والخبر، ابن خلدون: ١٤٨ / ٦؛ شذرات الذهب، ابن العماد: ٢ / ٢٥٢.

(٧٧) الحلة السيرة، ٣٦٢ / ٢.

(٧٨) يُنظر معجم البلدان، ياقوت الحموي: ٢٣٠ / ١؛ الأعلام، الزركلي: ٢٢ / ٨.

(٧٩): تاريخ إفريقية والمغرب، الرقيق القيرواني: ص ١٢٥، ١٢٦؛ العبر وديوان المبتدأ والخبر، ابن خلدون: ١٤٨ / ٦.

تعيين القضاة: وكما هو متوقع من حاكمٍ حَصيفٍ، حريصٍ على اختيار أفضل العلماء الفقهاء لتولي مسؤولية القضاء، فقد أقر يزيد أحد أشهر العلماء الصالحين في إفريقية، أثنى عليه كبار العلماء والمؤرخين، وهو العالم الجليل الفقيه أبو خالد عبدالرحمن بن زياد بن أنعم الشَّعْبَانِي^(٨٠)، وكان من جَلَّةِ المحدثين، منسوباً إلى الزُّهد والورع، صلباً في دينه؛ متفناً في علوم شتى^(٨١)، وهذا الفقيه العالم والقاضي الزاهد يُعدُّ من المخضمرين في تولي هذا المنصب في إفريقية، إذ عينه مروان بن محمد الجعدي آخر خلفاء الدولة الأموية (١٢٧-١٣٢هـ)، ثم ولّاه على القضاء محمد بن الأشعث الخُزاعيّ بأمر من الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور في سنة ١٤٤هـ^(٨٢)، واستمر على قضاء إفريقية طيلة عهود الولاة بعده حتى جاء الوالي يزيد بن حاتم، الذي وجدّه أصلح القضاة في منصبه هذا. ومع ذلك حدث ما عكّر صفو العلاقة الطيبة بينهما، الأمر الذي جعل القاضي عبد الرحمن يترك القضاء، وذلك أن "امراً كانت تدخل على نساء يزيد بن حاتم، وكانت لها خصومة عند القاضي، فكتب لها كتاب حُكْمٍ وختمَ عليه وأعطاه إياها، فأخذته ودخلت به دار يزيد، فقال لها يزيد: ما هذا؟ فأعلمته، فأخذته وفَضَّ خاتمة، فصاحت المرأة! فقال لها: لا عليك، أنا أبعثه إليك مَخْتِماً"، ثم إنَّ الوالي يزيد بعث إليه رسولاً، فرَفَضَ القاضي عبدالرحمن أن يُعيد ختمه قائلاً: "لا أختمه حتى تُعيد البيّنة، فبعث إليه مرةً أخرى، فقال: لا أفعل"، ويبدو أن القاضي الشَّعْبَانِيّ فهم هنا أن الوالي لم يُعْطِ القضاء حقّه من الاحترام والامتنال، وربما توجَّس أيضاً من ردّة فعل قد يقوم بها الوالي يزيد، فبادر إلى ختم قضائه، "فكسره وقال: والله لا حكمتُ بين اثنين أبداً"^(٨٣)، وكان ذلك سنة ١٥٦هـ/ ٧٧٢م. والواقع أن الوالي يزيد لم يتخذ أي إجراء ضد القاضي ابن زياد، مُقدِّراً حرص القاضي على سلامة إجراءات التقاضي بين الخصوم، يدُلُّ على ذلك أن العلاقة بينهما لم تنقطع حتى وفاة القاضي،

(٨٠) يُذكر أيضاً بنسب المَعافِرِي، والصحيح أن نسبه شَّعْبَانِيّ، من قبيلة شَّعْبَان اليمنية. ولمعرفة المزيد من التفاصيل عن هذا القاضي الفاضل ينظر بحثنا الموسوم: "قضاة شَّعْبَانِيّون في بلاد المغرب والأندلس تاريخ حافلٌ بالعطاء"، مجلة دراسات تاريخية - تصدرها بيت الحكمة - بغداد، العدد ٤٦ - لسنة ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٨م)، ص ٥٥ وما بعدها.

(٨١) رياض النفوس، المالكي: ١/ ١٥٢.

(٨٢) يُنظر المصدر نفسه: ١/ ١٦٠.

(٨٣) معالم الإيمان، اللبّايغ: ١/ ٢٠٤؛ وينظر رياض النفوس، المالكي: ١/ ١٥٨-١٥٩؛ تاريخ قضاة القيروان، الجودي: ١/ ٤٠.

الذي كان سبب وفاته أنه أكل وجبة من سمك وشرب لبناً على مائدة الأمير يزيد بن حاتم، وكان يوحناً المتطبب حاضراً، وكان عبد الرحمن قد جاوز سبعين سنة، فقال يوحنا: إن كان الطَّبُّ حقاً، فإن هذا الشيخ يهلك الليلة، فلما كان في السَّحر سَمِعُوا صَيْحَةً، فقيل ما هذه الصَّيحة، قيل عبد الرحمن مات، فصلَّى عليه يزيد بن حاتم^(٨٤)، وتمثَّل بهذا البيت لما رأى ازدحامَ النَّاسِ في مراسيم دفنه:

يا كعْبُ ما رَاحَ مِنْ قَوْمٍ ولا أَنْكروا إلَّا وَلِلْمَوْتِ في آثَارِهِمْ حادي^(٨٥)
ويهمُّنا في هذه الرواية، معرفة احترام الوالي يزيد للقاضي عبد الرحمن بن زياد الشَّعْباني ودوام العلاقة الطَّيبة والتواصل بينهما.

ثم إنَّ الواليَّ يزيد ولى قضاة آخرين لإفريقية خلفاً للقاضي ابن زياد الشَّعْباني، ولكنَّ الروايات تَضَطَّرَبُ في تحديد اسمائهم وتواريخ تعيينهم، وبعضُ مَنْ ذَكَرُوا لا يَصِحُّ أَنْ يَزِيدَ بَنَ حاتم ولأهم، مثل أبي كُريب عبد الرحمن بن كُريب، لأنَّ هذا القاضي كان قد قُتِلَ شهيداً سنة ١٤٠هـ/ ٧٥٧م، قتله الخوارج الصُّفَرِيَّة^(٨٦)، والراجح أنَّ أبا كريب تولى القضاء بعد نهاية ولاية ابن زياد الشَّعْباني الأولى سنة ١٣٢هـ مع نهاية العصر الأموي، ولهذا السبب اختلط الأمر على مَنْ ذَكَرُوا أنَّ ذلك في عهد الوالي يزيد بن حاتم. ويُقال إنَّ يزيد ولى ماتع بن عبد الرحمن الرُّعيني، ولم يلبث أن عزله، "لأنَّه كان -فيما ذَكَرُوا- رَجُلٌ سوء"^(٨٧). كما أنَّه ولى الفقيه العالم يزيد بن الطفيل التُّجيبِي^(٨٨)، وهذا القاضي لم يُذكر إلَّا بالخير^(٨٩)، وكان من فضلاء المؤمنين، على الرَّغم ممَّا قيل إنَّ يزيد عزله عن القضاء لشُبْهَةٍ بسيطة يبدو أنَّها لا تَقْدَحُ في سيرة هذا القاضي، "لأنَّه كَانَ إِذَا انْصَرَفَ مِنْ مَجْلِسِ قَضَائِهِ يَسْتَوْدِعُ دِيْوَانَهُ رَجُلًا صَبَاغًا مُقَابِلَ الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ، فَتَقْدَمُ إِلَيْهِ يَزِيدُ

(٨٤) طبقات علماء إفريقية، أبو العرب التميمي: ص ٢٩؛ رياض النفوس، المالكي: ص ١٦٠ - ١٦١؛ وينظر دراسة الدكتور جاسم العبودي: قضاة إفريقية في عصري الولاة والأغالبة، وهي دراسة قيِّمة في ثلاثة أجزاء منشورة على موقع الألوكة في شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) على الرابط:

<https://www.alukah.net/culture/0/6108/> .

(٨٥) البيان المغرب، ابن عذاري: ٨٠ / ١.

(٨٦) يُنظر رياض النفوس، المالكي: ١٦٠ / ١، ١٧٢.

(٨٧) طبقات علماء إفريقية، أبو العرب التميمي: ص ٣٢.

(٨٨) يُنظر ترجمته في كل من: طبقات علماء إفريقية، أبو العرب التميمي: ص ٣٣ - ٣٤؛ رياض النفوس، المالكي: ص ١٧٢ - ١٧٣.

(٨٩) طبقات علماء إفريقية، أبو العرب التميمي: ص ٣٤.

في ذلك، فقال له: إني أخفظ ما في ديواني وهذا لا يضُرني" (٩٠)، ولعلّ الوالي يزيد بعزله هذا القاضي الصالح، أراد أن يكون قضاؤه مُنزهين عن أيّة شبهة في سلوكهم وتعاملاتهم، مَهْمَا صَغُرَتْ هذه الشبهة أو قَلَّ شأنها. وهكذا يتضح أنّ الوالي يزيد كان شديد الحرص على توفّر شروط النزاهة وضمان دقّة الأداء في عمل القاضي، ولم يكن ليُقبل في القضاء إلاّ مَنْ هُم أهل له: علماً وخُلُقاً وأداءً.

– الأعمال الإدارية والإنجازات الحضريّة:

اعتمد الوالي يزيد بن حاتم سياسةً حكيمة في إدارة أمور ولايته على نحوٍ مُتميّز، فيقول المؤرخ الناصريّ السّلاويّ (٩١): "ضَبَطَ الأمورَ أحسنَ ضَبْطٍ". وليزيد بن حاتم عددٌ من المنجزات الحضريّة في التنظيم الإداري، والبناء والتشييد والتطوّر العمرانيّ. ويبدو أنّ طول المدة التي قضاهَا في حُكم ولاية إفريقية كان لها أثرها الإيجابي في أن يتمكّن هذا الوالي من تثبيت قواعد الأمن والاستقرار، وإقامة مشاريع تنمية، فعاشت بلاد المغرب في ظلّ واقعٍ من الأمن والأمان الاجتماعيّ، والتطوّر العلميّ، والرخاء الاقتصاديّ، والازدهار العمرانيّ. ويرى أحدُ الباحثين (٩٢) أنّ الوالي يزيد حرصَ على أن يجعلَ منْ عاصمته القيروان (بصرة صغيرة) على غرار المدينة العراقيّة الكبيرة التي سطّع فيها نجمُ أسرته منذ أوائل العصر- الأمويّ، فظهرت القيروان التي تطوّرت تطوّراً كبيراً في مُدته بمظهر المدينة الاسلاميّة الكبيرة.

ومن منجزاته الحضريّة نذكر ما يأتي:

▪ تجديد بناء جامع مدينة القيروان:

يبدو أنّ جامع القيروان العام الذي بناه بدايةً الوالي عقبه بنُ نافع عند تأسيس المدينة سنة ٥١هـ (٩٣) – ويُعرف أيضاً بجامع عُقبه – كان بحالٍ تدعو إلى تجديده، والرّاجح كذلك أنّه بحاجة الى توسعة لاستيعاب الأعداد المتزايدة من المُصلّين فيه كما هو حال بقية جوامع مُدن

(٩٠) رياض النفوس، المالكي: ص ١٧٢، ١٧٣.

(٩١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، السّلاويّ: ١/ ١٨٨.

(٩٢) يُنظر الخلافة الفاطمية بالمغرب، الدشراوي فرحات: ص ٥٢، نقلاً عن كتاب ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية للمؤرخ حسن حسني عبد الوهاب: ١/ ١٤١ وما بعدها، ويُنظر كذلك مساجد القيروان، نجوى عثمان: ص ٢٠.

(٩٣) البيان المغرب، ١/ ٢٠، ويذكر ابن الأثير أنّ اكتمال بناء القيروان بها فيها من دور تمّ في سنة ٥٥هـ. يُنظر الكامل في التاريخ، ٣/ ٦٣.

المسلمين الكبيرة وحواسرها، فضلاً عن إكسابه مظهراً جمالياً يليق بقيمة هذه المدينة التي أصبحت لها مكانة كبيرة لدى المسلمين. والواقع - بحسب ما ذكره الجغرافي والمؤرخ البكري^(٩٤) - أن الوالي يزيد بن حاتم "هدم الجامع كله حاشى المحراب، وبناءً واشترى العمود الأخضر بهال عريض جزل، ووضعهُ فيه". قال ابن عذاري^(٩٥): "وفي سنة ١٥٧ هـ، جدد يزيد بناء المسجد الجامع بالقيروان، وكان غايةً في الجود والحسن"، والعبارة الأخيرة تُشير إلى متانة البناء وجمال الزخارف فيه.

▪ تنظيم الأسواق والتجارة والحرف وتطوير النشاط الاقتصادي:

ومن ضمن الأعمال التنظيمية والإدارية، ما قام به يزيد من ترتيب للمهن والحرف والأعمال المختلفة في أماكن خاصة بها في أسواق القيروان حاضرة ولاية إفريقية الرئيسية. وعلى الرغم من أن ما قام به يزيد بن حاتم هو توسّعات مختلفة وتحسينات لكل مرافق المدينة ومصالحها، فضلاً عن إضفاء الطابع الجمالي للمدينة، إلا أن ذلك جعلها وكأنتها مدينة جديدة، إذ يرى الرقيّ القيرواني^(٩٦) أن القول بأن يزيد بن حاتم هو المذي مَصْر - مدينة القيروان - أي جعلها مدينة مزدهرة متطورة ومتوسعة في عمرانها، وترتيب أسواقها وتجاراتها، وصناعاتها وحرفها - هو قول لا يبعد عن الحق. ويقول ابن عذاري^(٩٧): "وكان يزيد هذا حسن السيرة، فقدم إفريقية، وأصلحها، ورتب أسواق القيروان، وجعل كل صناعة في مكانها". وهكذا نرى كأن يزيد بأعماله هذه قد سبق ما يُعرف في أيامنا بالتخطيط الحضري في المدن المتطورة المزدهرة. وكان لسياسته هذه أثرها في أن تستقطب إفريقية الكثير من الناس، إذ توافدوا إليها من بلدان عدّة، لأغراض عديدة، سواء كانت علمية أو تجارية أو للعمل وكذلك للاستقرار، فضلاً عن الشعراء والأدباء، لاسيّما وقد أصبحت ولاية مزدهرة في عهد هذا الوالي المهلبى.

وقد قام يزيد بسكّ النقود نتيجة لذلك النشاط التجاري والازدهار الاقتصادي، فكما هو معروف أن العملات وعيارها إنما هي انعكاس للمستوى الاقتصادي الذي تبُلّغه الدولة أو الولاية، ويبدو أن الوضع الاقتصادي في عهده قد ازدهر ازدهاراً نوعياً غير مسبوق، وكانت مدينتا

(٩٤) المسالك والممالك، البكري: ١٩٥/٢.

(٩٥) البيان المغرب، ٧٩/١.

(٩٦) يُنظر تاريخ إفريقية والمغرب، ص ١١١.

(٩٧) البيان المغرب، ٧٨/١؛ الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، السلاوي: ١٨٨/١.

العباسية وإفريقية - القيروان - هما المدينتان اللتان يتم فيها سك النقود، فقد ضرب يزيد الدراهم الفضية التي تحمل اسمها في مدينة العباسية طيلة سنوات حكمه ابتداءً من سنة ١٥٥ هـ (٩٨) / ٧٧٢م، وتتألى ضربها في كل السنوات حتى سنة وفاته، والأمر نفسه في مدينة القيروان منذ سنة ١٦٠ هـ / ٧٧٧م بعد أن أعاد لها نشاطها في ضرب النقود (٩٩)، وتوجد نماذج من الدراهم المضروبة في عهد الوالي يزيد (١٠٠). وهناك من يقول بوجود فلوس مضروبة من عهد آل المهلب في سويسرا في قرية (Steekbon) (١٠١)، غير أن أحد الباحثين يقول إنها من الفضة، وهذا يعني أنها دراهم وليست فلوسا، وإنها تعود إلى عهود أكثر من وال من ولاية إفريقية منهم يزيد بن حاتم (١٠٢). والفلوس هي أقل العملات قيمة، لأنها من معدن أرخص من الفضة كثيراً، فكانت من النحاس أو البرونز، وهي تُستخدم لتفني بشرى الأغراض البسيطة للناس.

وقد ضربت الفلوس أيضاً في عهد يزيد بن حاتم (١٠٣)، ويُعرف عن الفلوس أنها كثيراً ما تعرض للغش في قيمتها الحقيقية، إلا أن الفلوس التي ضربت في عهد يزيد كانت خالية من الغش، ولذلك كُتب عليها كلمة (بخ) وهي كلمة تشير إلى جودتها (١٠٤).

وما سبق من معطيات هو دلالة على استمرار التطور والرخاء الاقتصادي في عهد هذا الوالي، وليس أدل على ذلك من "أن داري ضرب العملة في ولاية إفريقية (القيروان والعباسية) كانتا تزودا الامبراطورية العباسية في الفترة التي تتراوح بين ١٥٠ هـ و ١٧٠ هـ بحوالي ربع حجم الإصدارات الجمالية للدراهم، وهو ما جعل من ولاية إفريقية في العهد العباسي الأول تحتل

(٩٨) ينظر "حول تأسيس مدينة العباسية بإفريقية"، عبد الحميد فنية: مج ٤٤، ١٣٤، ص ٤٣. وفيه جدول سنوات ضرب النقود.

(٩٩) يُنظر المرجع نفسه، ص ٣٣-٣٤.

(١٠٠) يُنظر المسكوكات المغربية، صالح بن قربة: ص ٩١-٩٤.

(١٠١) يُنظر تاريخ النقود المغربية، طاهر راغب حسين: ص ٣٠.

(١٠٢) ينظر المسكوكات المغربية، صالح بن قربة: ص ٨٨.

(١٠٣) ينظر: تاريخ المغرب العربي، عبد الحميد: ص ٣٦٦؛ تاريخ النقود المغربية، طاهر راغب حسين: ص ٣٠-

٣٢؛ المسكوكات المغربية، صالح بن قربة: ص ٨٩.

(١٠٤) ينظر تاريخ النقود المغربية، طاهر راغب حسين: ص ٣١؛ المسكوكات الإسلامية في بلاد المغرب الأدنى، كازوز: ص ٦٥.

موضِعاً مركزياً في اقتصاد الامبراطورية العباسية، عكس النظرة السائدة في اعتبار هذه الولاية هامشية" (١٠٥) بفضل جهود هذا الحاكم المهلبى.

وفي مجال الزراعة والرعي، لا نجد المصادر تهتم بذكرهما وما يتعلق بهما، كما تهتم بذكر أخبار المعارك والحروب والأخبار المرتبطة بالحكام والولاة. وفيما يتعلق بمصر، كان للنيل أثره الكبير في قيام زراعات واسعة، وكان الاهتمام بقياس مستوى مياه النهر يهتم به حكام مصر لمعرفة مستوى الانتاج الزراعي وتقدير ما يفرض على أصحاب الأراضي من جبايات، ولذلك أقاموا مقياساً على النيل لهذا الغرض، ونجد ابن تغري بردي يسجل في كتابه (١٠٦) مستوى قياس المياه ومقدار الزيادة في كل سنوات حكم يزيد بن حاتم. ويبدو أن الأمور سارت على نحو جيد، وهو ما ينعكس بصورة إيجابية على الانتاج الزراعي والحيواني.

وأما في بلاد المغرب فكل ما وجدناه - بحسب المصادر المتاحة - إشارات يُمكن أن يفهم منها ما يشير إلى الاهتمام بالزراعة والرعي ومعها تربية الماشية الى جانب تربية الخيول، فقد روت المصادر أن بعض وكلائه زرع فولاً كثيراً في بعض رياضاته. فقال له يزيد: "يا بن اللخناء أتريد أن أُعيرَ بالبصرة فيقال: يزيد بن حاتم باقلافي. ثم أمر أن يُباح للناس.

وخرج أيضاً يوماً في طريقه من القيروان مُتَنَزِّهاً، فنظر إلى غنم كثيرة، قيل له إنها لابنه إسحاق، "فزرعها عليها وأمر بذبحها وأن تُباح للناس، فانتهبوها وأكلوها، وجعلوا جلودها في كُدْيَةٍ، فهي تُعرف من ذلك الوقت بكُدْيَةِ الجلود" (١٠٧). والرواية على بساطتها تُشير إلى وكلاء يقومون بإدارة مزارع الولاة، ومنها زراعة الفول - الباقلاء - في بعض رياض يزيد، وهنا نفهم أن هذه الرياض يمكن زراعة نباتات وزروع مثمرة عديدة فيها، ومنها الباقلاء وهي من المحاصيل التي لها قيمتها، والواضح أن هذا ما جعل يزيد بن حاتم - باعتباره حاكماً لولاية إفريقية - يستنكف أن يوصف بأنه يُتاجر ببيع الباقلاء، لأنه - كما يرى الاستاذ عبد العزيز الثعالبي (١٠٨) - "لا ينبغي للحكام أن يزاحموا العاقة في طرائق مكاسبهم". ويُمكن القول إن

(١٠٥) حول تأسيس مدينة العباسية، عبد الحميد فنية: ص ٣٤.

(١٠٦) يُنظر النجوم الزاهرة، ٢/ ٥، ٦، ٨، ١٠، ١٢، ١٥، ١٧.

(١٠٧) البيان المغرب، ابن عذاري: ١/ ٨١ - ٨٢؛ وينظر تاريخ المغرب العربي، عبد الحميد: ص ٣٦٥ - ٣٦٦.

(١٠٨) تاريخ شمال إفريقيا، الثعالبي: ص ١٨٦.

زراعة محصول الفول وغيره من المحاصيل النقدية كانت أغلب الظن لها رواجها، لاسيما وبلاط المغرب كانت بلاداً زراعية منذ تاريخ قديم.

وقد أنكر الوالي يزيد بن حاتم على ابنه إسحاق بن يزيد أن يقوم بهذه المهنة التي يقوم بها الغنّامون والجزّارون، حين عَرَفَ منه أن الغرض من تربيته للأغنام هو الاستفادة من لحومها وألبانها وصوفها^(١٠٩). وفي كلّ حال، فإنه يُمكن القول أيضاً: إن الاهتمام بتربية الأغنام والماشية وغيرها من الحيوانات كانت سائدة في بلاد المغرب، وإشارات المصادر لا حصر لها في تأكيد ذلك. ويلاحظ أيضاً ما ذكرته الرّولية عن تجميع الجلود في تلك الكُلية - أي المكان المرتفع -، ولا شك أن الجلود لها قيمتها الاقتصادية على مستوى الأفراد والمجتمعات فيما يتم صناعتها منها من ملبوسات، ومصنوعات أخرى عديدة. وكانت الخيول تتم تربيته في أماكن مُحصّصة، وكان الحُكّام والولاة يهتمون كثيراً بتربية الخيول، إذ كانوا يستخدمونها لأغراض عديدة في الحُمْل والنقل والحروب، والاستعراضات الرّسمية وغير ذلك. وكانت هناك منطقة بالقرب من القيروان تُسمّى مِثْنِيّة الخيل تُربى فيها خيول يزيد، وقد بنى لها اصطبلات، وحفر فيها آباراً^(١١٠). وبصورة عامّة يُمكن القول: إن الوالي يزيد المهلبى تمكّن من إعادة عجلة النشاط الاقتصادي في أرجاء ولايته في مُدّة وجيزة، إذ رأينا بعد سنتين فقط من بداية ولايته يقوم بهدم الجامع الكبير للقيروان، وعبارة جامع أكبر مساحةً وأضخم بناءً، وأفخم زينةً بزخارف ترفل بالجمال. ومثل هذا المشروع يتطلب أموالاً عظيمة في ظل إمكانات إقتصادية جيّدة، وهو ما يبدو أنه توافر لهذا الوالي المهلبى.

- عدل يزيد بن حاتم وحسن سيرته في الرّعية:

يبدو أن يزيد كان متأثراً بسيرة جدّه المهلب بن أبي صفرة الذي نُقلت عنه نصائح لأبنائه، ومما قال: "ما رأيت أحداً بين يديّ قط إلاّ وأحببت أن أرى ثيابه عليه، واعلموا يا بنيّ أن ثيابكم على غيركم أحسن منها عليكم"^(١١١)، كما كان يحرص على شراء ودّ الناس، وله قول ماثور في

(١٠٩) تاريخ افريقية والمغرب، الرقيق القيرواني: ص ١٢١.

(١١٠) المصدر نفسه.

(١١١) ينظر الأوائل، أبو هلال العسكري: ص ٣٣٥-٣٣٦.

ذلك: "عَجِبْتُ لَمَنْ يَشْتَرِي الْمَالِيكَ بِمَالِهِ وَلَا يَشْتَرِي الْأَحْرَارَ بِمَعْرُوفِهِ. وَقَالَ: لَيْسَ لِلْأَحْرَارِ ثَمَنٌ إِلَّا الْإِكْرَامُ، فَأَكْرِمُ حُرّاً تَمَلَّكَهُ" (١١٢).

وَمِنْ أَهَمِّ مَظَاهِرِ عَدْلِ الْحُكَّامِ أَوْ الْوُلَاةِ هُوَ حُسْنُ اخْتِيَارِهِمْ لِعُمَاهُمْ وَمَوْظِفِيهِمْ مِمَّنْ يَتِمَّيزُونَ بِحُسْنِ سَيْرَتِهِمْ، وَقَدْ عَرَفْنَا هَذَا فِي الْوَالِي يَزِيدَ فِي تَعْيِينِ خَيْرَةِ الرِّجَالِ لِأَعْمَالِ الْوَلَايَةِ، وَلَا سِيَّمَا الْقِضَاةَ وَالْقَادَةَ وَرِجَالَ الْأَمْنِ وَعُمَالَ الْجَبَايَا وَغَيْرِهِمْ.

وكان يزيد بن حاتم يُراقِبُ الله في الرَّعِيَّةِ، وَلَا سِيَّما أَوْلَئِكَ النَّاسِ الْبُسْطَاءَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ سِنْدٍ يَقِفُ إِلَى جَانِبِهِمْ. وَفِي تَدْيِينِ يَزِيدَ وَتَقْوَاهُ يَرَى لِلدَّكْتُورِ سَعْدِ زَغُولِ عَبْدِ الْحَمِيدِ (١١٣) لَنَّهُ تَكْفِي شَهَادَةً فِقْهِهِ إِفْرِيقِيَّةَ الْعَالَمِ الْكَبِيرِ سَحْنُونِ بْنِ سَعِيدٍ، الَّذِي قَالَ: كَانَ يَزِيدُ بْنُ حَاتِمٍ يَقُولُ: "وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ مَا هَبْتُ شَيْئاً قَطُّ هَبَيْتِي رَجُلًا وَاحِدًا يَزْعُمُ أَنَّنِي ظَلَمْتُهُ وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّ لَا نَاصِرَ لَهُ إِلَّا اللَّهُ، فَيَقُولُ: حُسْبُكَ اللَّهُ، اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ" (١١٤).

وَمِنْ مَوَاقِفِ جَلَمٍ وَنُبَلٍ أَخْلَاقِ الْقَائِدِ يَزِيدَ بْنِ حَاتِمٍ حِرْصُهُ عَلَى التَّوَصُّلِ إِلَى أَفْضَلِ الْحُلُولِ دُونَ إِرَاقَةِ الدِّمَاءِ، إِذْ كَانَ يَحْرِصُ عَلَى دَعْوَةِ زَعَمَاءِ الْعَشَائِرِ وَالْجَمَاعَاتِ إِلَى الْحُلُولِ السَّلَامِيَّةِ، وَمِنْ أَمْثَلِهِ ذَلِكَ مَا ذَكَرْنَاهُ حِينَ اسْتَدْعَاهُ الْحَسَنُ بْنُ فَحْطَبَةَ الطَّائِيَّ وَالِي الْعَبَّاسِيِّينَ فِي جَرَجَانَ لِحَسْمِ الْمَوَاجِهَةِ مَعَ جَمَاعَاتِ الْقَبَائِلِ الشَّامِيَّةِ فِي نَهَاوَنْدِ، الَّذِينَ يُوَالُونَ الْأُمَوِيِّينَ، وَكَيْفَ نَصَحَ يَزِيدُ زَعِيمَهُمُ النَّضَرَ بْنَ حُمَيْدِ اللَّخْمِيِّ وَأَقْنَعَهُ بِحُلِّ سَلْمِيِّ يَحْقِنُ الدِّمَاءَ، لِلخُرُوجِ مِنْ نَهَاوَنْدِ (١١٥). وَيُعْطِينَا سَبْطُ بْنُ الْجَوْزِيِّ رَوَايَةً تُظْهِرُ طَبِيعَةَ أَخْلَاقِ يَزِيدِ الْمُهَلَّبِيِّ وَمَبَادِئِهِ الرَّفِيعَةِ حَتَّى وَإِنْ تَعَلَّقَ الْأُمُورُ بِأَعْدَائِهِ، فَقَدْ وَثَبَ جَمَاعَةٌ مِمَّنْ كَانُوا مَعَ خَصْمِهِ جَمْهُورَ بَنِ مَرَّارِ الْعَجَلِيِّ الَّذِي خَرَجَ عَلَى طَاعَةِ الْمَنْصُورِ وَكَانَ أَحَدَ قَادَتِهِ الْكِبَارِ، "فَقَتَلُوهُ، وَأَتَوْا بِرَأْسِهِ إِلَى يَزِيدَ بْنِ حَاتِمٍ، فَقَالَ لَهُمْ: وَجُحُكُمُ! وَثِقْ بِكُمْ، وَأَمْنُكُمْ عَلَى نَفْسِهِ وَخَتْمُوهُ؛ فَضَرَبَ أَعْنَاقَهُمْ" (١١٦).

(١١٢) بهجة المجالس، ابن عبد البر: ٣٠٨/١.

(١١٣) تاريخ المغرب العربي، ص ٣٦٧.

(١١٤) الرقيق القيرواني: تاريخ افريقية والمغرب، ص ١٢٠، ويُنظر ابن خلكان: وفیات الأعيان، ٦/ ٣٢٤.

(١١٥) للتفاصيل يُنظر أخبار الدولة العباسية، مؤلف مجهول: ص ٣٥١-٣٥٣.

(١١٦) مرآة الزمان، سبط ابن الجوزي: ١٢/ ٦٤-٦٥.

وفي مصر حين قامت محاولة من بعض أنصار العلويين الذين تَصَنَّتْ خِطَّتُهُم اغتيال الوالي يزيد بن حاتم واضرام النار عليه بعد حصره في داخل مدينة العسكر، نجده بعد أن تم إحباط هذه المؤامرة، وسجن الضالعين فيها، يُكَلِّفَ عبد الله بن خديج بإطلاق الأسارى (١١٧).

وفي قصته مع شبيب بن شيبه، وشبه بن عقال من بني تميم، ما يُشِيرُ إلى قِيمِ التَّسامُح والصَّفْح، والبُعدِ عَنِ الأحقاد، وكنا قد رفعا إلى المنصور كتاباً لم يَأْلُوا فِيهِ الحَمْلَ على يزيد والذِّكْرَ لمساوئِهِ، ليتخَوَّفَ المنصورُ مِنْهُ، لكنَّ المنصور عَنَّفَهُمَا وَوَقَفَ وَكَيْلاً يَدافع عن يزيد في عَيْبَتِهِ، وبعد ذلك أقرأ يزيد كتابها ودفعه إليه. وحين أصبح يزيد والياً لإفريقية، وجّه المنصور شبيب بن شيبه لمُهَمَّةٍ في إفريقية، قابل الوالي يزيد الذي لم يخبره شيئاً عما حدث، وعامله وأكرمه. قال يزيد: وحين أراد شبيب الانصراف، "ذكر أنه لم يكن قط إلا على مودتي ومودة أهل بيتي، فقلتُ له: ولا يوم دفعت الكتاب إلى أمير المؤمنين، ودعوت بالكتاب، فأقرّ وسأل الإقالة وحسن الصَّفْح، فقلتُ له: لولا أنك ذكرت ما ذكرت ولولا أنني كرهتُ أنك تستغيني أو تظن أنني جاهل بك، لم أوقفك على هذا"، ثم أمر بإتلاف الكتاب (١١٨).

ما سبق مجرد نماذج من مواقف لهذا الوالي الصالح، وإلا فالمصادر تُسرِّدُ الكثير من شيمه ومواقف كرمه ونجدته.

عِلْمُهُ وما قِيلَ عَنْهُ:

- نجد بعض كبار علماء الحديث وعلم الرجال يجعلون يزيد بن حاتم من علماء الحديث في درجة الرواة الثَّقة، فالعالم الكبير ابنُ معين (١١٩) - وهو يحمي بن معين بن عون بن زياد البغدادي، المتوفى سنة ٢٣٣ هـ الذي يُعدُّ "من أئمة الحديث ومؤرخي رجاله" - يقول: "يزيد بن

(١١٧) ينظر التفاصيل في كتاب الولاة وكتاب القضاة، الكندي: ص ١١٢ - ١١٤.

(١١٨) ينظر بتفصيل أكثر تاريخ دمشق، ابن عساكر: ١٣٩/٦٥ - ١٤٠.

(١١٩) يحيى بن معين بن عون بن زياد المري بالولاء، البغدادي (ت ٢٣٣ هـ / ٨٤٨ م): أبو زكريا. ولد بقرية "نقا" قرب الأنبار. وصفه للذهبي بسيد الحفاظ وقال العسقلاني: إمام الجرح والتعديل. وقال ابن حنبل: أعلمنا بالرجال، ومن كلامه: كتب بيدي ألف ألف حديث. له مؤلفات كثيرة منها: "التاريخ والعلل"، و"معرفة الرجال"، و"الكنى والأسماء". كان أبوه على خراج الري، فخلف له ثروة كبيرة، فأنفقها في طلب الحديث. وعاش ببغداد، وتوفي بالمدينة حاجاً، وصلى عليه أميرها. ينظر الأعلام، الزركلي: ١٧٢/٨ - ١٧٣.

حاتم بن قبيصة بن المهلب ثقة^(١٢٠)، والأمر نفسه مع ابن أبي حاتم الرّازي^(١٢١) الذي جعله من رواة الحليث الثقة، فيقول: "يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب... ذكره أبي عن إسحاق بن منصور عن يحيى بن معين أنه قال: يزيد بن حاتم بن قبيصة، ثقة". وكذلك ابن حبان البستي^(١٢٢) جعله في الرواة الثقة، ويقول: "يزيد بن حاتم يروي عن الزهري، روى عنه حماد بن زيد". - وكان يزيد بن حاتم مشهوراً على نحو خاص بالشّهامة والكرم يتفوق بذلك على كثير من الولاة والحكام حتى حفظ لنا الموروث أبيات شعر أصبحت كالمثل السائر^(١٢٣) بين الناس للتعبير عن مدى مكارم الرجال وفروسياتهم، وهي أبيات للشاعر الأنصاري ربيعة بن ثابت الرقي، الذي كان قد مدح يزيد بن أسيد السلمي وهو وال على أرمينية، فقصر في حقه، ثم مدح يزيد بن حاتم فبالغ في الإحسان إليه^(١٢٤)، فقال ربيعة:

لَشَتَانُ مَا بَيْنَ الْيَزِيدَيْنِ فِي النَّدَى يَزِيدُ سُلَيْمٌ، وَالْأَعْرَابُ ابْنُ حَاتِمٍ
فَهُمُ الْفَتَى الْأَزْدِيُّ إِتْلَافُ مَالِهِ وَهُمْ الْفَتَى الْقَيْسِيُّ جَمْعُ الدَّرَاهِمِ
وهي من قصيدة طويلة^(١٢٥) نتقي منها:

حَلَفْتُ يَمِينًا غَيْرَ ذِي مَثْنَوِيَةٍ يَمِينُ امْرِئٍ آلَ بَهَا غَيْرِ آثِمٍ
لَشَتَانُ مَا بَيْنَ الْيَزِيدَيْنِ فِي النَّدَى يَزِيدُ سُلَيْمٌ، وَالْأَعْرَابُ ابْنُ حَاتِمٍ
يزيد سليم سالم المال، والفتى أخو الأزد للأموال غير مسلم
فلا يحسب التمتام أنني هجوته ولكنني فضلت أهل المكارم
سعيت ولم تدرك نوال ابن حاتم لفك أسير واحتمال العظام
فيا ابن أسيد لا تسام ابن حاتم فتقرع إن ساميته سنّ نادم

(١٢٠) يُنظر تاريخ مدينة دمشق، ابن عساکر: ١٣٩/٦٥.

(١٢١) الجرح والتعديل، الرازي: ٢٥٧/٩.

(١٢٢) الثقة، ابن حبان: ٦١٦/٧.

(١٢٣) الاستقصا، السلوي: ١٨٩/١؛ ويُنظر الأغاني، أبو الفرج الاصفهاني: ٢٧١/١٦، وفيه ما دار بين الشاعر دعل الخزاعي والمحدث الشاعر أبي السمط: "قال دعل بن علي الخزاعي: قلتُ لمروان بن أبي حفصة الشاعر: يا أبا السمط، من أشعركم جماعة المحدثين قال: أسيرنا بيتاً. قلتُ: ومن هو قال: الذي يقول: لشتان ما بين اليزيديين في الندى..."

(١٢٤) قيل إنه كان عليه غُرم دية، فأكرمه يزيد وأعطاه عشر ديات، يُنظر البيان المغرب، ابن عذاري: ٨١/١.

(١٢٥) أورد ابن خلکان في كتابه: وفيات الاعيان، ٣٢٣/٦ معظم أبيات القصيدة؛ ويُنظر تاريخ مدينة دمشق، ابن عساکر: ١٤١-١٤٢؛ الوافي بالوفيات، الصفدي: ٤٩/٢٨.

ألا إتما آل المهلب غرة وفي الحرب قاداتكم بالخزائم
ويثني الشاعر ابن المولى (١٢٦) على يزيد بن حاتم واصفاً شيمته وتميزه في الكرم والنجدة في
قصيدة تعد من أجمل قصائد الشعر العربي في بابها. وفي حديث له مع أبي عثمان الجاحظ، أبدى
الأديب والشاعر الكبير الأصمعي إعجابه بجمال هذه القصيدة وحسن مديح ابن المولى ليزيد ابن
حاتم (١٢٧)، يقول فيها:

وإذا تباع كريمة أو تشتري فسواك بائعها وأنت المشتري
وإذا تحيل من سحابك لامع سبقت خيلته يد المستمطر
فإذا صنعت صنعة أتممتها بيدين ليس ندهما بمكدر
وإذا الفوارس عددت أبطاها عدوك في أبطالهم بالخنصر

ويقول ابن المولى أيضاً، في مدح يزيد بن حاتم في قصيدة [من الكامل]:

يا واحد العرب الذي أضحى وليس له نظير
لو كان مثلك آخر ما كان في الدنيا فقير (١٢٨)

وقال الشاعر صفوان بن صفوان الخزرجي الأنصاري (المتوفى حوالي سنة ١٨٠هـ/ ٧٩٦م)

بديها في يزيد:

لم أدر ما الجود إلا ما سمعت به حتى لقيت يزيد عصمة الناس
لقيت أكرم من يمشي على قدم مفضلاً برداء الجود والباس
لونيلاً بالمجد ملوك كنت صاحبه وكنت أولى به من آل عباس (١٢٩)
وذكر صاحب كتاب "الأنساب" (١٣٠) أن المسهر التميمي الشاعر وفد على يزيد بن حاتم

بإفريقية فأنشده:

إليك قصرنا النصف من صلواتنا مسيرة شهر ثم شهر نواصله

(١٢٦) ابن المولى: محمد بن عبد الله بن مسلم (ت نحو ١٧٠هـ/ ٧٨٦م): أبو عبد الله، شاعر متقدم مجيد، من
مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية. كان ظريفاً عفيفاً، حسن الهيئة. ولد ونشأ في المدينة. سافر إلى مصر،
فأكثر من مدح يزيد بن حاتم المهلبى. يُنظر الزركلي: الأعلام، ٦/ ٢٢١؛ تاريخ الأدب العربي، فروخ:
٨٧-٨٦/٢.

(١٢٧) تاريخ دمشق، ابن عساكر: ٦٥/ ١٤١؛ وفيات الاعيان، ابن خلكان: ٦/ ٣٢٦.

(١٢٨) وفيات الاعيان، ابن خلكان: ٦/ ٣٢٦؛ الوافي بالوفيات، الصفدي: ٢٨/ ٤٩.

(١٢٩) ينظر سير أعلام النبلاء، الذهبي: ٨/ ٢٣٤.

(١٣٠) السمعاوي: ١/ ٢٣٦.

فَلا نَحْنُ نَخْشَى أَنْ يَحْبَبَ رِجَاؤُنَا لِمَدِّكَ، وَلَكِنْ أَهْنَأُ الْبَرَّ عَاجِلُهُ
فَأَمَرُ يَزِيدُ بِوَضْعِ الْعِطَاءِ فِي جَنْدِهِ وَكَانَ مَعَهُ خَمْسُونَ أَلْفَ مَرْتَزَقٍ، فَقَالَ: مَنْ أَحَبَّ أَنْ
يَسِّرَنِي فَلْيَضَعْ هَذَا مِنْ عَطَائِهِ دَرَاهِمِينَ، فَاجْتَمَعَ لَهُ مِائَةُ أَلْفِ دَرَاهِمٍ، وَضَمَّ يَزِيدُ إِلَى ذَلِكَ مِائَةَ أَلْفِ
دَرَاهِمٍ أُخْرَى وَدَفَعَهَا إِلَيْهِ.
وَاللَّشَعْرَاءُ قَصَائِدُ مَدْحٍ عَليْدَةِ لِيَزِيدَ بْنِ حَاتِمٍ (١٣١)، وَلَكِنْ اخْتَرْنَا نَمَازِجَ مِنْهَا، حَتَّى لَا
تَطُولَ صَفَحَاتُ هَذَا الْبَحْثِ الْأَكَادِمِيِّ الْمَحْدُودِ.
وَيَقُولُ الرَّقِيقُ الْقِيروَانِي (١٣٢) عَنْ يَزِيدَ بْنِ حَاتِمٍ الْمَهْلَبِيِّ: "حَالُهُ فِي جُودِهِ وَكَرَمِهِ وَشَجَاعَتِهِ
وَبُعْدِ صَبِيهِ وَنَفَازِ رَأْيِهِ وَتَقَدُّمِهِ وَعِلْمِ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ بِهِ يُغْنِي عَنْ كَثِيرٍ مِنْ شَرْحِ أَمْرِهِ".
أَمَّا ابْنُ خُلَكَانَ (١٣٣) فَيَقُولُ عَنْهُ: "وَكَانَ جَوَادًا سَرِيًّا مَقْصُودًا مُمْدَحًا، قَصَدَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ
الشُّعْرَاءِ فَأَحْسَنَ جَوَائِزَهُمْ".
وَيَصِفُهُ الذَّهَبِيُّ (١٣٤) بِقَوْلِهِ: "وَكَانَ بَطْلًا شَجَاعًا، مَهِيًّا شَدِيدَ الْبَأْسِ".
وَيَقُولُ ابْنُ كَثِيرٍ (١٣٥) عَنْ يَزِيدَ إِنَّهُ اسْتَبْدَلَ أَهْلَ بِلَادِ إِفْرِيقِيَّةٍ "بِالْخَوْفِ أَمْنًا وَسَلَامَةً،
وَبِالْإِهَانَةِ كِرَامَةً".
أَمَّا الشَّيْخُ الْمُؤَرِّخُ وَالسِّيَاسِيُّ عَبْدُ الْعَزِيزِ الثَّعَالِبِيُّ (١٣٦) فَيَصِفُ الْوَالِيَّ يَزِيدَ بْنَ حَاتِمٍ بِقَوْلِهِ: "وَكَانَ فِي وِلَايَتِهِ مَثَلًا أَعْلَى لِلنَّزَاهَةِ وَالشَّرَفِ وَسُمُوِّ الْهِمَّةِ وَبُعْدِ النَّظَرِ، وَأَثْبَتَ الْمُؤَرِّخُونَ لَهُ عَلَى
ذَلِكَ شَوَاهِدَ كَثِيرَةً".
وَيَقُولُ الدُّكْتُورُ حَسِينُ مَوْسَى (١٣٧): "وَهَكَذَا أَصْبَحَتِ الْقِيروَانُ بِفَضْلِ أَوْلَئِكَ الْفُقَهَاءِ،
وَمَا بِذَلِكَ يَزِيدُ بْنُ حَاتِمٍ مِنْ جُهْدٍ مُرَكَّزٍ لِلْعِلْمِ الْإِسْلَامِيِّ، لَا يَقِلُّ عَنِ الْبَصْرَةِ وَالْكُوفَةِ
وَالْفُسْطَاطِ، وَهِيَ حَقِيقَةٌ هَامَةٌ مِنْ حَقَائِقِ التَّارِيخِ الْحَضَارِيِّ فِي الْمَغْرِبِ".

(١٣١) يُنْظَرُ عَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ أَيْضًا: تَارِيخُ دِمَشْقَ، ابْنُ عَسَاكِرَ: ١٤٠/٦٥ - ١٤٢٢؛ وَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ، ابْنُ
خُلَكَانَ: ٣٢٤ - ٣٢٦؛ الْخُلَاصَةُ النَّقِيَّةُ، الْبَاجِي الْمَسْعُودِي: ص ٩٥ - ٩٦.
(١٣٢) تَارِيخُ إِفْرِيقِيَّةِ وَالْمَغْرِبِ، ص ١١١؛ الْبَيَانُ الْمَغْرِبِ، ابْنُ عَذَارِي: ٧٨/١.
(١٣٣) وَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ، ٣٢٢/٦.
(١٣٤) سِيرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ، ٢٣٤/٨.
(١٣٥) الْبَدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ، ابْنُ كَثِيرٍ: ١٢٠/١٠.
(١٣٦) تَارِيخُ شَمَالِ إِفْرِيقِيَا، الثَّعَالِبِيُّ، عَبْدُ الْعَزِيزِ: ص ١٨٦.
(١٣٧) مَعَالِمُ تَارِيخِ الْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ: ص ٨٧.

- رعايته للعلماء والأدباء وازدهار الحياة الثقافية:

كان يزيد بن حاتم المهلبى نفسه - إلى جانب كونه قائداً عسكرياً وحاكماً إدارياً - يُعَدُّ من العلماء الصالحين والأدباء المذكورين، ولعلَّ هذه المكانة كان لها أثرها في تشجيعه للعلوم والعناية بأهلها. ويُعَدُّ عهد حُكْم يزيد من أحسن عهود الولاة على إفريقية، وأكثرها خيراً، سواء من الناحية الاقتصادية أو الاجتماعية أو المعمارية أو العلمية، فقد جلب معه وسائل الترف وأَسباب التمدُّن، وجاء صحبته عددٌ كبيرٌ من العلماء والأدباء والأطباء وأهل الفن، وأغدق عليهم العطايا^(١٣٨). وتُجَدُّر الإشارة إلى أنَّ يزيد بن حاتم كان قد اختار وكيلاً له على مصالحه في العراق، وهو العالم الجليل المتعبَّد الرَّاهِد الخليل بن أحمد الفراهيدي الأزدي، وهو مشهور أنَّه حُجَّةٌ في اللغة والنحو وعِلْم العروض، وكان يزيد يُجري عليه في كلِّ شهرٍ مائتي درهم^(١٣٩). وكان بلاطُ يزيد يزخر برجال العلوم والأدب من كلِّ مكان حيث يجدون الإكرام والتشجيع، وما يملونه، فضلاً عن حرصه على الاهتمام بأمورهم، واحترام وتقدير مكانتهم. وهنا نورد بعض ما رُوِيَ عنه بهذا الخصوص:

□ ففي **مِصر**، يروي المؤرخ ابن عبد الحَكَم عن زيارة يزيد لقاضيه على مصر - أبي خزيمة إبراهيم بن يزيد الرُعيني، تعكس طبيعة احترام وتواضع يزيد بن حاتم للعلماء، وإجلاله لمكانتهم، يقول ابن عبد الحَكَم^(١٤٠): "وحدَّثني بعضُ مشايخ البلد، أنَّ يزيد بن حاتم وهو يومئذ والي البلد، جاء إلى أبي خزيمة إلى باب داره، وألْقَيْتُ ليزيد بن حاتم صُفَّةً سَرَجَهُ^(١٤١)، فجلَسَ عليها حتى قَضَى حاجته ثم انصرف؛ فكَلَّم أبو خزيمة في ذلك فقال: لم يكن في منزلي شيءٌ يجلسُ عليه، فخرَجْتُ إليه". والرواية كما تشير إلى تقشُّف القاضي أبي خزيمة وزُهدِهِ حتَّى أنَّه لا يملك مقعداً لأيِّ ضيفٍ يأتيه، فهي تدلُّ أيضاً على تواضع الوالي يزيد وملاحم الصلاح

(١٣٨) يُنظر مساجد القيروان، نجوى عثمان: ص ٢٠.

(١٣٩) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ابن الجوزي: ٧ / ٢٨٠.

(١٤٠) فتوح مصر وأخبارها، ابن عبد الحَكَم: ص ٢٤٢.

(١٤١) **وَصُفَّةُ السَّرَج**: ما عُثِيَ - به بين القُرْبوسَيْن وهما مقدَّمه ومؤخَّره. ينظر المغرب في ترتيب المغرب، المطرزي: ١ / ٤٧٦. وفي لسان العرب: "صُفَّةُ الرَّحْلِ وَالسَّرَج: الَّتِي تَضُمُّ العَرَفَوَيْنَ والبِدَادِينَ مِنْ أَعْلَاهُمَا وَأَسْفَلِهَما، وَالْجَمْعُ صُفَفٌ عَلَى الْقِيَّاسِ... وَصَفَفْتُ السَّرَجَ: جَعَلْتُ لَهُ صُفَّةً"، ينظر لسان العرب، ابن منظور: ٩ / ١٩٩٥.

فيه، إذ ذهب بنفسه إلى القاضي أبي خزيمة وظل أمام البيت، وتجنّباً لإحراج قاضيه، استخدم يزيد صفةً دابته ليجلس عليها حتى ينتهي من المسألة التي جاء من أجلها.

- وعين يزيد كما مر بنا على برقة أحد العلماء المشهورين - الذين رأى فيهم الصلاح والاستقامة إلى جانب الخبرة الإدارية - ليتولّى حكمها وقضاءها وهو عبد المؤمن بن عبد الله بن هبيرة السبائي، وهذا العالم كان من رواة الحديث (١٤٢) أيضاً إلى جانب كونه فقيهاً، وإدارياً.

- وكان الوالي يزيد مهتماً بأمور العلماء، ومما ذكر عنه:

* أنه كان يسأل عن أحد العلماء الزاهدين الخاشعين وهو أبو يحيى عميرة بن أبي ناجية الرُعيني (ت ١٥٣هـ / ٧٧٠م)، وكان هذا العالم من رواة الحديث ناسكاً متعبداً، كثير البكاء: "بمنزلة النائحة. إذا قرأ يبكي، وإذا سجد يبكي، وإذا سكّت عن القراءة وفرغ من الصلاة؛ جلس يبكي. وكان يزيد بن حاتم الأمير يسأل عنه، ويقول: ما فعلت الثكلى" (١٤٣).

- ويذكر علماء آخرون أنهم توفوا في ولاية يزيد بن حاتم منهم:

* أبو عقبة عيَّاش بن عقبة بن كليب بن يغلب الحضرمي، وهو أيضاً من المحدثين روى عنه كبار العلماء منهم عبد الله بن المبارك، وعبد الله بن وهب، وكان هذا العالم من القادة البحرين في أواخر عهد بني أمية. وكان ممن رفض التعاون مع الخارجين على سلطة والي العباسيين يزيد بن حاتم، وذلك حين لاقاه أحد كبار قادتهم وهو خللد بن سعيد (١٤٤). والراجح أن هؤلاء العلماء رأوا صلاح هذا الوالي وحسن سيرته في الناس يستوجب عدم الخروج عليه، فكانوا يمثلون سنداً لولايته.

* ويذكر ابن تغري بردي (١٤٥) - عن الذهبي - عددًا من العلماء توفوا في مصر - أيام ولاية يزيد بن حاتم، هم عمرو بن الحارث الفقيه بمصر، وعمار بن سعد المصري في سنة ١٤٨هـ / ٧٦٥م، "ومعروف بن سويد الجذامي المصري، ويعقوب بن مجاهد...".

(١٤٢) يُنظر تاريخ ابن يونس، ابن يونس: ٣٢٨/١، الإكمال، ابن ماکولا: ٥٣٥/٤، الأنساب، السمعاني: ٥٠/٧.

(١٤٣) يُنظر تاريخ ابن يونس، ابن يونس: ٣٨٠/١، الانساب، السمعاني: ١١٢/٢ - ١١٣؛ تهذيب الكمال، المزي: ٣٩٩/٢٢ وما بعدها.

(١٤٤) يُنظر تاريخ ابن يونس، ابن يونس: ٣٨٤ - ٣٨٥؛ كتاب الولاة وكتاب القضاة، الكندي: ص ١١٤.

(١٤٥) النجوم الزاهرة، ابن تغري بردي: ١٠/٢، ١٢.

ونظراً للشهرة التي جابت الآفاق عن كرم يزيد، فقد ازدحم بلاطه بالعلماء والأدباء الذين قَدِموا إليه من كل مكان، يقول ابنُ عذارى (١٤٦): "امتدحه كثيرٌ من فحول الشعراء، فأجزلَ لهم العطاء". ومن طريف ما يُروى أن الشاعر أشعب - المشهور بالطَّمَع والظُّرف - قَدِمَ على يزيد في مصر، "فجلس في مجلسه من الناس، فدعا يزيدُ بعضَ غلمانه وأسرَّ له بشيءٍ، فقام أشعب فقبلَ يده فقال له: ولمَ فعلتَ هذا قال: رأيتُكَ أَسْرَرْتَ إلى غلامِكَ بشيءٍ فَعَلِمْتُ أَنَّكَ قَدْ أَمَرْتَ لي بِبَصْلَةٍ، فَضَحَكْتُ مِنْهُ وقال: ما فعلتُ ولكنِّي أَفْعَلُ، وأمرَ له بِبَصْلَةٍ" (١٤٧).

□ وفي المغرب، ازدهرت الحياة الثقافية، ولاسيما في مدينة القيروان على نحو غير مسبوق، يقول أحدُ الباحثين (١٤٨) إنه "لم يظهر أيُّ نشاط ثقافي في القيروان إلَّا في مدة ولاية يزيد بن حاتم، ذلك أنَّ هذه المدينة التي لا شك أنَّ سبب تأسيسها لا يرجع إلى أغراض استراتيجية فقط، قد كانت تقوم قبل ذلك بدور هام مماثل للدور الذي ستقوم به فاس وقرطبة فيما بعد في نشر الإسلام واللغة العربية، وتستعدُّ لتصبح مركزاً للثقافة العربية الإسلامية مثل العواصم الشرقية".

وقد حرص يزيد فيما يبدو عند قدومه المغرب على اصطحاب عددٍ من العلماء الذين كان لهم شأنهم في مختلف العلوم، يُذكر منهم أحدُ ندمائه، وهو العالمُ الأخباريُّ المَعمر بن سنان التيميَّ أنه "قَدِمَ مع يزيد بن حاتم المهلبى في ولايته إفريقية وكانَ زميلُهُ في طريقه إذا ركب في عَمَّارِيَّتِهِ (١٤٩) لأنَّ نِسَبَهُ به وأستماعِهِ مِن حَدِيثِهِ وكانَ أَعْلَمَ النَّاسَ بأيام العَرَب وأخبارها ووقائعها وأشعارها، وعنه أخذ أهل إفريقية حَرْبَ غطفان وغيرَها من وقائع العَرَب" (١٥٠).

وقد مرَّ بنا تكريمُ الوالي يزيد للقاضي عبد الرحمن بن زياد الشَّعْباني يوم وفاته، إذ حَضَرَ - الجنازة وأمَّ النَّاس في الصلاة عليه، على الرَّغم من أنَّ هذا القاضي الشَّعْباني كان قد رفض أن يستمرَّ في تَوَلِّي القضاء له.

ومن كبار العلماء الذين ذُكِرُوا أنَّهم توفُّوا في ولاية يزيد المهلبى على المغرب:

(١٤٦) البيان المغرب، ١/ ٨١.

(١٤٧) وفيات الأعيان، ابن خلكان: ٤٧٣/ ٢.

(١٤٨) يُنظر الخلافة الفاطمية بالمغرب، الدشراوي فرحات: ص ٥٢.

(١٤٩) هكذا وردت في الكتاب المحقَّق بالشَّكل، انظر الهامش التالي.

(١٥٠) الحلة السيرة، ابن الأبار: ١٠٧/ ١.

- رباح بن يزيد اللخمي الإفريقي: وهذا العالم له أخبار تطول في ذكر عبادته، وهو - بالمغرب - يضرّبون بعبادته المثل (١٥١). قال أبو العرب: ومناقب رباح بن يزيد كثيرة جداً يطول بذكرها الكتاب (١٥٢). وقيل إن الوالي يزيد كان يعودّه كلّ يوم في مرضه الذي مات فيه سنة ١٧٢ هـ، على الرغم من جفاء كان يُبديه ليزيد، وأنه صلى عليه حين دفنه (١٥٣)، ولكن هذه الرواية لا تصحّ لأن يزيد توفي قبل رباح في سنة ١٧٠ هـ، ولعل الأمر يتعلق بالوالي روح بن حاتم. - وممن وفد على الوالي يزيد المهلبى من المشرق واستقرّ في كنفه وأصبح من المقربين له، العالم والأديب راوية أشعار العرب وأخبارها: إسحاق بن مكرم الأشعري، المشهور بابن أبي المنهال، الذي خدم يزيد بن حاتم لثقتة به وعلمه بديانته (١٥٤).

وبفضل كرم يزيد بن حاتم أصبحت دار الإمارة مجمع الشعراء الذين ساروا إلى بابه من كلّ مكان، وبفضل استنارته وتقواه أصبحت منتدى الأدباء والعلماء والقضاة، والزهاد والصالحين "وبذلك أخذت القيروان تحتل مركز الصدارة بين مئذن المغرب، ليس بصفتها العاصمة السياسية للبلاد فقط، بل وبصفتها العاصمة الفكرية ومركز الإشعاع الديني والثقافي في البلاد" (١٥٥). ولا شك أن هناك الكثير من العلماء والادباء والشعراء والمفكرين عاشوا في ظل رعاية هذا الوالي.

يزيد بن حاتم شاعراً:

كان المهالبة بصورة عامة مشهورون بالفروسية والأدب والشعر والحكمة، ولا تخلو كتب الأدب من ذكر أعلامهم من الشعراء، ومن بينهم يزيد بن حاتم وأولاده وأحفاده (١٥٦) الذين عُرف منهم شعراء كبار (١٥٧)، وأما يزيد بن حاتم فمن المؤسف أننا لا نكاد نعرف شيئاً عن شعره. فما وصلنا عنه هاتان البيتان المشهوران يعبر فيهما عن مدى كرمهم، فيقول [من البسيط]:

(١٥١) تاريخ ابن يونس، ابن يونس: ٨١ / ٢؛ تاريخ الاسلام، الذهبي: ٣٦٣ / ٤.

(١٥٢) ينظر طبقات علماء إفريقية: ص ٤٥ - ٥١؛ رياض النفوس، المالكي: ٣٠٠ - ٣١٢؛ معالم الإيمان، الدباغ: ٢١٦ / ١ - ٢٢٢.

(١٥٣) ينظر طبقات علماء إفريقية، أبو العرب التميمي: ص ٤٦؛ معالم الإيمان، الدباغ: ٢٢٢ / ١.

(١٥٤) تاريخ إفريقية والمغرب، الرقيق القيرواني: ص ١٢٠.

(١٥٥) يُنظر تاريخ المغرب العربي، عبد الحميد: ص ٣٦٧، ٣٦٨.

(١٥٦) ينظر شعر المهالبة في العصر العباسي، المومني: ص ٦ وما بعدها.

(١٥٧) منهم الوزير والشاعر المهلبى الشهير أبو محمد الحسن بن محمد بن هارون بن إبراهيم بن عبد الله بن يزيد بن حاتم المتوفى سنة ٣٥٢ هـ، يُنظر: خزانة الأدب، البغدادي: ٦ / ٢٩٠.

ما يَأْلَفُ الدَّرْهَمُ المَضْرُوبُ خِرْقَتَنَا إِلَّا لِمَامًا قَلِيلًا ثُمَّ يَنْطَلِقُ
يَمُرُّ مَرًّا عَلَيْهَا وَهِيَ تَلْفِظُهُ إِنِّي أَمْرُؤٌ لَمْ يُجَالِفْ خِرْقَتِي الْوَرِقُ (١٥٨)
ولعلَّ الأيام تكشف عن جديدٍ من شِعْر هذا الوالى المهلبى الشَّهير، يُمكن من خلالها معرفة
مُجْمَل تجربته الشَّعرية.
- وفاته:

هناك مَنْ يذكُر أنَّ وفاة يزيد بن حاتم المهلبى كانت سنة ١٧١ هـ (١٥٩)، ولكنَّ الأرجح -بحسب
معظم المصادر- أنَّه تُوِّفِيَ في مدينة القيروان، ودُفِنَ بباب سلم سنة ١٧٠ هـ في شهر رمضان منها،
وبالتحديد في يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رمضان (١٦٠)، وهي توافق الثاني عشر من
شهر آذار (مارس ٧٨٧م). وهكذا تنتهي حياة عَلمٍ من أعلام تاريخ العرب المسلمين، كانت
حافلة بالعطاء والدُّروس النافعة.

(١٥٨) الحلة السرياء، ابن الأبار: ٧٦/١، وينظر البيان المغرب، ابن عذاري: ٨١/١.

(١٥٩) يُنظر البيان المغرب، ابن عذاري: ٨١/١، ١٨٢.

(١٦٠) ينظر كل من: تاريخ الرسل والملوك، الطبري: ٢٠٥/٨؛ تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ١٤٣/٦٥؛
وفيات الأعيان، ابن خلكان: ٣٠٦/٢، ٣٢٦/٦؛ شذرات الذهب، ابن العباد: ٣٢٩/٢ ويلاحظ أنه
يذكر أيضا أنَّ وفاته سنة ١٧١ هـ؛ الاستقصا، السلاوي: ١٨٩/١.

استخلاص

ما سبق يُبين لنا صفحة مشرقة من صفحات تاريخ العرب المسلمين - كان يزيد بن حاتم المهلبى هو عنوان هذه الصفحة المهمة - ويُقدم لحكام ومسؤولي الأوان درساً نافعاً يتعلمون منه، لخدمة شعوبهم وأمتهم:

- يتضح أن أسرة المهالبة من الأسر العربية الكريمة التي كان لأعلامها أدوارٌ مهمة في تاريخ العرب المسلمين في ميادين البطولة والفروسيّة والعلم والأدب، وكان يزيد بن حاتم أحد أشهر أعلامهم.

- البدايات الأولى التي ظهر فيها يزيد بن حاتم كانت في بلاد المشرق، باعتباره قائداً عسكرياً كبيراً، ووالياً حكم بعض المناطق، ومنها أذربيجان التي يُذكر لثمة كان أول من عمل على إيجاد توازن ديمجرافي فيها، حين قام بنقل اليمانية من البصرة إليها، وهي خطوة مهمة أيضاً في سبيل الإسراع في تعريب أهل هذه المنطقة.

- ونظراً لثقة الخلافة بالقائد يزيد، فقد عيّنته على إحدى أهم وأكبر ولايات الدولة وهي مصر، حين بدأت الأوضاع فيها تتجه إلى التضعع وعدم الاستقرار، فتمكّن من السيطرة على الأمور وضبط الأمن والاستقرار، حتى توسّعت ولايته لتشمل منطقة برقة، وهو تكريم من الخلافة لم يسبقه إليه أحد من الولاة.

- وفي المغرب كانت الأوضاع فيها في بداية منتصف القرن الثاني الهجري قد وصلت إلى مرحلة خطيرة تُهدد بخروج هذه المنطقة عن سيطرة الدولة العباسية، فتم اختيار القائد يزيد المهلبى لإخماد حركات الجماعات الخارجة عن الدولة هناك، وتعيينه والياً لإفريقية، وكان نجاحه يُعدّ عاملاً مهماً في الحفاظ على بقاء قوة دولة الخلافة.

- وتمكّن الوالي يزيد أيضاً من ترسيخ الأمن والاستقرار في المغرب، وإدارة شؤون ولايته، وسنّ القوانين والتنظيمات للعمل التجاري، وترتيب الأسواق، وهو ما هيأ الظروف المناسبة لإحداث نهضة اقتصادية عامة شملت الزراعة والصناعة والتجارة وازدهار الحركة التجارية والأسواق، وعكس هذا النهوض الاقتصادي أثره في تمكّن الوالي يزيد من سكّ النقود من العملات الفضية وتزويد الخلافة بأكبر حصّة منها بين ولاياتها، فضلاً عن سكّ الفلوس التي يتداولها الناس في معاملاتهم اليومية. وكانت تلك العملات جيّدة الوزن والقياس، وهو مؤشر واضح لقوة اقتصاد الولاية.

- ولأنَّ الوالي يزيد كان عالمًا، وله حظٌّ من الأدب والشعر، فضلًا عما تميَّز لدى النَّاس من سيرة طيبة، وما اشتهر به من الكرم، فقد كان من أشهر رعاة العِلْم والعلماء من الولاة، وأصبح كرمه مثلًا سائرًا بين النَّاس في كلِّ البلدان: "كَسْتَان مَا بَيْنَ الْيَزِيدَيْنِ فِي النَّدَى..." ولذلك كان ديوانُ ولايته يزدهم بالعلماء والأدباء والشُّعراء وغيرهم، حيث يجدون الاهتمام والإكرام والرَّعاية. ونتيجةً لذلك الاهتمام وتلك الرَّعاية للعِلْم والعلماء، فقد أصبحت القيروان من أهمِّ مُدُن العِلْم والثقافة ازدهارًا على مستوى مُدُن المسلمين كلِّها.
- حرص الوالي يزيد على تعيين أفضل الرِّجال في المناصب والوظائف المختلفة، ولاسيما منصب القضاء، الذي كان يختار له أكفأ الفقهاء ممن يُشهد لهم بالعِلْم والنَّزاهة والعِفَّة والسيرة الطيبة، كما أحسن اختيار رجال الشرطة الذين ضبطوا أمور الأمن وإقرار السكينة في الولاية، حتى أنَّ الخلافة وجدت فيما بعد أنهم أصلح الرِّجال سواء لولاية مصر أو ولاية إفريقية.
- وقد وردت روايات كثيرة تُشير إلى عدل يزيد وحسن سيرته في النَّاس، وأثنى عليه العلماء والمؤرخون الكبار، فضلًا عن الشُّعراء. وهكذا يُمكن القول: إنَّ يزيد بن حاتم المهلبى كان نموذجًا متميزًا من الرِّجال في مجال القيادة العسكريَّة والحكْم المدني.

المصادر والمراجع

المصادر:

١. أخبار الدولة العباسية، مجهول، مؤلف (عاش في القرن الثالث الهجري): تحقيق: الدكتور عبد العزيز الدوري والدكتور عبد الجبار المطلبي، دار الطليعة للطباعة والنشر، مطبعة دار صادر (بيروت، ١٩٧١م)
٢. الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م): تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، ط ١، (بيروت، ١٤١٥هـ)
٣. الأغاني، الاصفهاني، أبو الفرج، علي بن الحسين (ت ٣٥٦هـ / ٩٦٧م): تحقيق: علي مهنا وسمير جابر، دار الفكر، ط ٢ (بيروت).
٤. الإكمال في رفع الارياب عن المؤلف والمختلف في الأسماء والكُنَى والأنساب، ابن ماكولا، أبو نصر- علي بن هبة الله بن جعفر (ت ٤٧٥هـ / ١٠٨٢م): دار الكتاب الإسلامي، (القاهرة، ١٩٦١-١٩٦٦م)
٥. الإمامة والسياسة، ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ / ٨٨٩م): تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م)
٦. الأنساب، السمعاني، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت ٥٦٢هـ / ١١٦٧م): تعليق: عبد الله عمرو البارودي، دار الجنان، (بيروت، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م)
٧. الأوائل، أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل (ت ٣٩٥هـ / ١٠٠٤م): دار البشير، ط ١، (طنطا، ١٤٠٨هـ)
٨. بهجة المجالس وأنس المجالس، ابن عبد البر، يوسف بن عبد البر النمري المقرطبي (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧١م): تحقيق: محمد مرسي الخولي، دار الكتب العلمية، (بيروت، د. ت)
٩. البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ابن عذاري المراكشي، أبو العباس أحمد بن محمد (كان حيًا في ٧١٢هـ / ١٣١٢م): تحقيق: ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، (بيروت، ١٩٨٠م)
١٠. تاريخ ابن يونس الصديقي، ابن يونس، عبد الرحمن بن أحمد بن يونس الصديقي (ت ٣٤٧هـ / ٩٥٨م): دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، (١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م)
١١. تاريخ إفريقية والمغرب، الرقيق القيرواني، أبو اسحاق إبراهيم (ت بعد ٤١٧هـ / ١٠٢٦م): تحقيق: د. عبد الله العلي الزيدان، ود. عز الدين عمر موسى، دار الغرب الإسلامي، ط ١، (بيروت، ١٩٩٠م)
١٢. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط ١، (تونس، ٢٠٠٣م)

١٣. تاريخ الرسل والملوك، الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م): تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٤، دار المعارف، (القاهرة، ١٩٧٩م)
١٤. تاريخ اليعقوبي، اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب (ت ٢٨٤هـ / ٨٩٧م): دار صادر، ط ٦، (بيروت، ١٩٩٥م)
١٥. تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، أبو القاسم علي بن حسن بن هبة الله (ت ٥٧١هـ / ١١٧٦م): تحقيق: علي شيري، دار الفكر، (بيروت، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م).
١٦. تكملة الإكمال، ابن نقطة، محمد بن عبد الغني بن أبي بكر البغدادي (ت ٦٢٩هـ / ١٢٣١م): تحقيق: د. عبد القيوم عبد رب النبي، نشر: جامعة أم القرى، ط ١، (مكة المكرمة، ١٩٨٩م)
١٧. تهذيب الكمال، المزي، جمال الدين أبو الحجاج يوسف (ت ٧٤٢هـ / ١٣٤٢م): تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، ط ٤، (بيروت، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م)
١٨. الثقات، ابن حبان، محمد بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي (ت ٣٥٤هـ / ٩٦٥م): تحقيق: السيد شرف الدين أحمد، دار الفكر، ط ١، (بيروت، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م)
١٩. الجرح والتعديل، الرازي، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي (ت ٣٢٧هـ / ٩٣٨م): دار إحياء التراث العربي، نسخة عن طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - بحيدر آباد الدكن - الهند، ط ١، (بيروت، ١٢٧١هـ / ١٩٥٢م)
٢٠. جمهرة أنساب العرب، ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد (ت ٤٥٦هـ / ١٠٦٣م): تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، ط ٥، (القاهرة، ١٩٨٢م)
٢١. الحلة السراء، ابن الأثير، أبو عبد الله محمد القاضي البلسني (ت ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م): تحقيق: الدكتور حسين مؤنس، الشركة العربية للطباعة والنشر، (القاهرة، ١٩٦٣)
٢٢. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، البغدادي، عبد القادر بن عمر (ت ١٠٩٣هـ / ١٦٨٢م): تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، ط ٤، (القاهرة، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م)
٢٣. الخلاصة النقية في أمراء إفريقية، الباجي المسعودي، محمد الباجي بن أبي بكر المسعودي البكري (ت ١٢٩٧هـ / ١٨٨٠م): تحقيق: الدكتور محمد زينهم عزب، دار الآفاق العربية، (القاهرة، ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م)
٢٤. ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، الزمخشري، أبو القاسم محمد بن عمر (ت ٥٨٣هـ / ١١٤٤م): تحقيق: عبد الأمير مهنا، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط ١، (بيروت، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م)
٢٥. رفع الأصر عن قضاة مصر، تحقيق: الدكتور علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، ط ١، (القاهرة، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م)
٢٦. رياض النفوس، المالكي، أبو بكر عبد الله بن محمد (ت بعد ٤٥٣هـ / ١٠٦١م): تحقيق: بشير البكوش، دار الغرب الاسلامي، ط ٢، (بيروت، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م)

٢٧. سير أعلام النبلاء، الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قليّاز (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م): تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط ٩، (بيروت، ١٤١٣هـ).
٢٨. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد، شهاب الدين عبدالحى بن أحمد بن محمد العكري (ت ١٠٨٩هـ / ١٦٧٨م): تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط ومحمود الأرنؤوط، دار ابن كثير، ط ١، (دمشق، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م).
٢٩. الطبقات الكبرى، ابن سعد، محمد ابن سعد (ت ٢٣٠هـ / ٨٤٤م): تحقيق: الدكتور إحسان عباس، دار صادر، (بيروت، ١٩٦٨م).
٣٠. طبقات علماء إفريقية، أبو العرب، محمد بن أحمد بن تميم (ت ٣٣٣هـ / ٩٤٥م): دار الكتاب اللبناني، (بيروت، د. ت).
٣١. الجبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي الإشبيلي (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م): تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، ط ٢، (بيروت، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م).
٣٢. العقد الفريد، ابن عبد ربه، شهاب الدين أحمد بن محمد الأندلسي (ت ٣٢٨هـ / ٩٣٩م): تحقيق: الدكتور مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، ط ١، (بيروت، ١٤٠٤هـ).
٣٣. فتوح البلدان، البلاذري، أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م): دار ومكتبة الهلال، (بيروت، ١٩٨٨م).
٣٤. فتوح مصر وأخبارها، ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن عبد الله (ت ٢٥٧هـ / ٨٧٠م): مكتبة مدبولي، ط ٢، (القاهرة، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م).
٣٥. الكامل في التاريخ، ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني الجزري (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٠م): تحقيق: الدكتور عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، (بيروت، ٢٠١٢م).
٣٦. كتاب المحبر - رواية أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري -، ابن حبيب، أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية البغدادي (ت ٢٤٥هـ / ٨٥٩م): اعنتى بالتصحيح: الدكتور إيلزه ليختن شتير، منشورات دار الآفاق الجديدة، (بيروت، د. ت).
٣٧. كتاب الوافي بالوفيات، الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م): تحقيق: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، ط ١، (بيروت، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م).
٣٨. كتاب الولاة وكتاب القضاة، الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف (ت ٣٥٠هـ / ٩٦١م): مطبعة الآباء اليسوعيين، (بيروت، ١٩٠٨م).
٣٩. اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر، (بيروت، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م).

٤٠. مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزُّأوغلي بن عبد الله (ت ٦٥٤هـ / ١٢٥٦م): تحقيق وتعليق: [بأول كل جزء تفصيل أسماء محققه] دار الرسالة العالمية، ط ١، (دمشق، ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م)
٤١. المسلك والمملك، البكري، ابو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م): تحقيق: الدكتور جمال طلبة، دار الكتب العلمية، ط ١، (بيروت، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٢م)
٤٢. معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، الدِّبَّاغ، عبد الرحمن بن محمد بن علي بن عبد الله الأنصاريّ الأسديّ (ت ٦٩٦هـ / ١٢٩٦م): تحقيق: عبد المجيد الخيالي، دار الكتب العلمية، ط ١، (بيروت، ١٤٢٦هـ)
٤٣. معجم البلدان، ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م): دار صادر، (بيروت، ١٩٧٧م)
٤٤. المغرب في ترتيب المغرب، المطرزيّ، أبو الفتح ناصر الدين بن عبد السيد بن علي (ت ٦١٠هـ / ١٢١٣م): تحقيق: محمود فاخوري وعبد الحميد مختار، مكتبة أسامة بن زيد، ط ١، (حلب، ١٩٧٩م)
٤٥. المقفى الكبير، المقرئ، أحمد بن علي بن عبد القادر (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م): تحقيق: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، ط ١، (بيروت ١٤١١هـ / ١٩٩١م)
٤٦. المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م): تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م)
٤٧. المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار الكتب العلمية، ط ١، (بيروت، ١٤١٨هـ)
٤٨. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، أبو المحاسن، جمال الدين يوسف بن تغري بردي الأتابكيّ (ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م): وزارة الثقافة والإرشاد القومي، نسخة مصورة عن دار الكتب، (القاهرة)
٤٩. وفيات الأعيان، ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م): تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، (بيروت ١٩٨٦)
- المراجع:
٥٠. أثر القبائل العربية في الحياة المغربية منذ الفتح العربي إلى سقوط الدول المستقلة (٢٣-٢٩٦هـ / ٦٤٣-٩٠٩م)، مصطفى أبو ضيف أحمد (الدكتور): دار النشر المغربية، ط ١، (الدار البيضاء، ١٩٨٦م)
٥١. الأعلام، الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد الدمشقيّ (ت ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م): دار العلم للملايين، ط ١٥، (بيروت، ٢٠٠٢م)

٥٢. آل المهلب العمانيون في المشرق الإسلامي منذ ظهور الإسلام وحتى قيام الدولة العباسية دراسة وثائقية، عبد المنعم عبد الحميد سلطان (الدكتور): المكتب الجامعي الحديث، (الاسكندرية، ٢٠١٠م)
٥٣. تاريخ الأدب العربي (الجزء الثاني)، فروخ، عمر: دار العلم للملايين، ط ٤، (بيروت، ١٩٨١م)
٥٤. تاريخ المغرب العربي (الجزء الأول)، عبد الحميد، سعد زغلول (الدكتور): منشأة المعارف، (الاسكندرية، ١٩٩٣م)
٥٥. تاريخ النقود المغربية الى قيام الدولة الفاطمية، طاهر راغب حسين (الدكتور): الطبعة الاولى، (القاهرة، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م)
٥٦. تاريخ شمال إفريقيا منذ الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية، الثعالبي، عبد العزيز: تحقيق: الدكتور أحمد بن ميلاد و محمد ادريس، دار الغرب الاسلامي، ط ٢، (بيروت، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م)
٥٧. تاريخ قضاة القيروان من لدن الفتح (٨٠هـ) الى الآن (١٣٥٢هـ) - الجزء الأول، الجودي، محمد بن صالح بن قاسم التميمي القيرواني (ت ١٩٤٣م): دار كيرانس للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٢، (تونس، ٢٠١٤م)
٥٨. تحفة الاعيان بسيرة أهل عُمان، السالمي، الشيخ نور الدين عبد الله بن حميد (ت ١٣٣٢هـ/ ١٩١٣م): مكتبة الاستقامة، (مسقط، ١٩٩٧م - بحسب دار المقتبس)
٥٩. الخلافة الفاطمية بالمغرب، الدشراوي فرحات: تعريب: حمادي الساحلي، دار الغرب الاسلامي، ط ١، (بيروت، ١٩٩٤م)
٦٠. مساجد القيروان، نجوى عثمان (الدكتورة): دار عكرمة، ط ١، (دمشق، ٢٠٠٠م)
٦١. معالم تاريخ المغرب والأندلس، مؤنس، حسين (الدكتور): دار الرشاد، ط ٥، (القاهرة، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م)
٦٢. المهلب بن أبي صفرة، العبود، نافع توفيق (الدكتور): دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد، ١٩٨٨م).
- الرسائل والأطاريح الجامعية:
٦٣. شعر المهالبة في العصر العباسي حتى نهاية ق ٣هـ، المومني، حمزة ضيف الله: رسالة ماجستير - قسم اللغة العربية - جامعة آل البيت، (المفرق - الاردن، ٢٠٠٨م)
٦٤. المسكوكات الإسلامية في بلاد المغرب الأدنى خلال عهدي الأغلبية والفاطمين، صبرية عبدالعزيز التواتي كازوز: رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي مقدمة إلى قسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة الزاوية بليبيا، العام الدراسي الجامعي (٢٠٢٠ - ٢٠٢١م)

٦٥. المسكوكات المغربية من الفتح الاسلامي الى سقوط دولة بني حماد، صالح بن قربة: بحث
دكتوراه - جامعة الجزائر - معهد العلوم الاجتماعية، (العام الجامعي ١٩٨٢-١٩٨٣م)
المجلات والدوريات:

٦٦. حول تأسيس مدينة العباسية بإفريقية، عبد الحميد فنية: المجلة التونسية للعلوم الاجتماعية -
تونس، مج ٤٤، ١٣٤، (تونس، ٢٠٠٧م)

٦٧. الدور الحضاري للمهالبة في بلاد المغرب، الندابي، ناصر بن علي بن سالم: مجلة الخليل
للدراسات اللغوية والأدبية، جامعة نزوى - مركز الخليل بن أحمد الفراهيدي للدراسات العربية
والإنسانية، مجلد ٤، عدد ٧، (مسقط، ٢٠١٩م)

٦٨. قُضاة شُعبان في بلاد المغرب والأندلس تاريخ حافل بالعطاء"، الصنوي، عبد الرب
(الدكتور): مجلة دراسات تاريخية - تصدرها بيت الحكمة - بغداد، العدد ٤٦ - لسنة
(١٤٣٩هـ / ٢٠١٨م)

Romanization of references

Sources:

1. Akhbār al-dawlah al-‘Abbāsīyah, majhūl, mu’allif (‘āsha fī al-qarn al-thālith al-Hijrī): edited by Dr. Abdul Aziz al-Duri and Dr. Abdul Jabbar al-Mutalibi, Dar al-Tali’ah for Printing and Publishing, Dar Sader Press (Beirut, 1971 CE)
2. Al-Isābah fī Tamyīz al-ṣaḥābah, Ibn Ḥajar al-‘sqḷānī, Shihāb al-Dīn Aḥmad ibn ‘Alī (t852h / 1448m): edited by Adil Ahmad Abdul Mawjoud and Ali Muhammad Muawwad, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 1st edition (Beirut, 1415 AH)
3. Al-Aghānī, alāṣfhānī, Abū al-Faraj, ‘Alī ibn al-Ḥusayn (d. 356 h/967 m): edited by Ali Muhanna and Samir Jabir, Dar al-Fikr, 2nd edition (Beirut)
4. Al-Ikmāl fī Raf’ al-irtiyāb ‘an al-Mu’talif wālmkhtlf fī al-asmā’ wālkunā wa-al-ansāb, Ibn Mākūlā, Abū Naṣr ‘Alī ibn Hibat Allāh ibn Ja’far (d. 475 h/1082 m): Dar al-Kitab al-Islami, (Cairo, 1961-196 CE)
5. Al-Imāmah wa-al-siyāsah, Ibn Qutaybah al-Dīnawarī, Abū Muḥammad ‘Abd Allāh ibn Muslim (t276h / 889m): Edited by Khalil al-Mansur, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, (Beirut, 1418 AH/1997 CE)
6. Al-Ansāb, al-Sam‘ānī, ‘Abd al-Karīm ibn Muḥammad ibn Maṣṣūr al-Tamīmī (t562h / 1167m): Commentary by ‘Abd Allah ‘Amr al-Barudi, Dar al-Jinan, (Beirut, 1408 AH/1988 CE)
7. Al-Awā’il, Abū Hilāl al-‘skrī, al-Ḥasan ibn ‘Abd Allāh ibn Sahl (t395h / 1004m): Dar al-Bashir, 1st ed., (Tanta, 1988 CE) 1408 AH)
8. Bahjat almajāls w’uns almuja’s, Ibn ‘Abd albbār, Yūsuf ibn ‘Abd albbār al-Nimrī al-Qurṭubī (t463h / 1071m): edited by Muhammad Morsi al-Khouli, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, (Beirut, n.d.)
9. Al-Bayān al-Maghrib fī akhbār al-Andalus wa-al-Maghrib, Ibn ‘Idhārī al-Marrākushī, Abū al-‘Abbās Aḥmad ibn mḥmmad (kāna ḥyan fī 712h / 1312m): edited by J. S. Colin, E. Lévi-Provençal, Dar al-Thaqafa, (Beirut, 1980)
10. Tārīkh Ibn Yūnus alṣdfī, Ibn Yūnus, ‘Abd al-Raḥmān ibn Aḥmad ibn Yūnus alṣdfī (t347h / 958m): Dar al-Kutub al-Ilmiyya, 1st ed., Beirut, (1421 AH/2000 CE)
11. Tārīkh Ifrīqīyah wa-al-Maghrib, al-Raqīq al-Qayrawānī, Abū Ishāq Ibrāhīm (t b’d417h / 1026m): Edited by: Dr. Abdullah al-Ali al-Zaydan, and Dr.
12. Tārīkh al-Islām wwfayāt al-mashāhīr wa-al-a’lām, edited by Dr. Bashar Awad Maarouf, Dar al-Gharb al-Islami, 1st edition, (Beirut, 1990)
13. Tārīkh al-Rusul wa-al-mulūk, al-Ṭabarī, Muḥammad ibn Jarīr (t310h / 922m): edited by Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, 4th edition, Dar al-Maaref, (Cairo, 1979)
14. Tārīkh al-Ya’qūbī, al-Ya’qūbī, Aḥmad ibn Abī Ya’qūb (t284h / 897m): Dar Sader, 6th edition, (Beirut, 1995)
15. Tārīkh Madīnat Dimashq, Ibn ‘Asākir, Abū al-Qāsim ‘Alī ibn Ḥasan ibn Hibat Allāh (t571h / 1176m): edited by Ali Shiri, Dar al-Fikr, (Beirut, 1415 AH/1995)

16. Takmilat al-Ikmāl, Ibn Nuqtah, mḥmmad ibn ‘Abd al-Ghanī ibn Abī Bakr albhgdādī (t629h / 1231m): Edited by: Dr.

17. Tahdhīb al-kamāl, almzī, Jamāl al-Dīn Abū al-Ḥajjāj Yūsuf (t742h / 1342m): edited by Dr. Bashar Awad Maarouf, al-Risalah Foundation, 4th edition, (Beirut, 1406 AH/1985 CE)

18. Althqāh, Ibn Hibbān, Muḥammad ibn Aḥmad Abū Ḥātim al-Tamīmī albstī (t354h / 965m): edited by Sayyid Sharaf al-Dīn Ahmad, Dar al-Fikr, 1st edition, (Beirut, 1395 AH/1975 CE)

19. Al-Jarḥ wa-al-ta’dīl, al-Rāzī, ‘Abd al-Raḥmān ibn Muḥammad ibn Idrīs ibn al-Mundhir altmymī (t327h / 938m): Dar Ihya al-Turath al-Arabi, a copy of the edition published by the Council of the Ottoman Encyclopedia - Hyderabad, Deccan - India, 1st edition, (Beirut, 1410 AH/1989 CE) 1271 AH/1952 CE)

20. Jamharat ansāb al-‘Arab, Ibn Ḥazm, ‘Alī ibn Aḥmad ibn Sa’īd (t 456h / 1063m): edited by Abd al-Salam Muhammad Harun, Dar al-Maaref, 5th edition, (Cairo, 1982 CE)

21. Al-Ḥillah al-siyarā’, Ibn al’bbār, Abū ‘Abd Allāh mḥmmad alqdā’ī alblnsī (t 658h / 1260m): edited by Dr. Hussein Mu’nis, Arab Company for Printing and Publishing, (Cairo, 1963 CE)

22. Khizānat al-adab wa-lubb Lubāb Lisān al-‘Arab, albhgdādī, ‘Abd al-Qādir ibn ‘Umar (t 1093h / 1682m): edited by Abd al-Salam Muhammad Harun, Maktabat al-Khanji, 4th edition, (Cairo, 1418 AH/1997 CE)

23. Al-Khulāṣah al-naqīyah fī Umarā’ Ifrīqīyah, al-Bājī al-Mas‘ūdī, Muḥammad al-Bājī ibn Abī Bakr al-Mas‘ūdī albkri (t1297h / 1880m): Edited by Dr. Muhammad Zaynham Azab, Dar al-Afaq al-Arabiyya, (Cairo, 1434 AH/2013 CE)

24. Rabī‘ al-abrār wa-nuṣūṣ al-akhbār, alzmkhshri, Abū al-Qāsim Muḥammad ibn ‘Umar (t583h / 1144m): Edited by Abd al-Amir Muhanna, Al-A’lami Foundation for Publications, 1st ed., (Beirut, 1412 AH/1992 CE)

25. Raf‘ al’shr ‘an Quḍāh Miṣr, Edited by Dr. Ali Muhammad Umar, Maktabat al-Khanji, 1st ed., (Cairo, 1418 AH/1998 CE)

26. Riyād al-nufūs, al-Mālikī, Abū Bakr ‘Abd Allāh ibn Muḥammad (t b’d453h / 1061m): Edited by Bashir al-Bakoush, Dar al-Gharb al-Islami, 2nd ed., (Beirut, 1414 AH/1994 CE)

27. Siyar A’lām al-nubalā’, al-Dhahabī, Shams al-Dīn Abū ‘Abd Allāh mḥmmad ibn Aḥmad ibn ‘Uthmān ibn qāymāz (t748h / 1347m): Edited by Shu’ayb al-Arna’ut, Al-Risalah Foundation, 9th edition, (Beirut, 1413 AH).

28. Shadharāt al-dhahab fī Akhbār min dhahab, Ibn al-‘Imād, Shihāb al-Dīn ‘bdālhy ibn Aḥmad ibn mḥmmad al-‘Akarī (t1089h / 1678m): Edited by Abd al-Qadir al-Arna’ut and Mahmud al-Arna’ut, Dar Ibn Kathir, 1st edition, (Damascus, 1413 AH/1992 CE).

29. Al-Ṭabaqāt al-Kubrā, Ibn Sa’d, Muḥammad Ibn Sa’d (t230h / 844m): Edited by Dr. Ihsan Abbas, Dar Sader, (Beirut, 1968 CE).

30. Ṭabaqāt ‘ulamā’ Ifrīqīyah, Abū al-‘Arab, Muḥammad ibn Aḥmad ibn Tamīm (t333h / 945m): Dar al-Kitab al-Lubnani, (Beirut, n.d.). (t)
31. Al‘ibar wa-dīwān al-mubtada’ wa-al-khabar fī Tārīkh al-‘Arab wa-al-Barbar wa-man ‘āṣarahum min dhawī al-sha’n al-akbar, Ibn Khaldūn, ‘Abd al-Raḥmān ibn Muḥammad al-Ḥaḍramī al-Ishbīlī (t808h / 1405m): edited by Khalil Shahada, Dar al-Fikr, 2nd edition, (Beirut, 1408 AH/1988 CE)
32. Al-‘Iqd al-farīd, Ibn ‘Abd Rabbih, Shihāb al-Dīn Aḥmad ibn Muḥammad al-ndlsī (t328h / 939m): edited by Dr. Mufid Muhammad Qumayha, Dar al-Kutub al-‘Ilmiyya, 1st edition, (Beirut, 1404 AH)
33. Fattūḥ al-buldān, al-Balādhurī, Abū al-‘Abbās Aḥmad ibn Yaḥyá ibn Jābir (t279h / 892m): Dar wa Maktabat al-Hilal, (Beirut, 1988 CE)
34. Fattūḥ Miṣr wa-akhbārūhā, Ibn ‘Abd al-ḥukm, ‘Abd al-Raḥmān ibn ‘Abd Allāh (t257h / 870m): Maktabat Madbouli 2nd ed., (Cairo, 1419 AH/1999 CE)
35. Al-Kāmil fī al-tārīkh, Ibn al-Athīr, Abū al-Ḥasan ‘Alī ibn Abī al-karam mḥmmad ibn mḥmmad al-Shaybānī al-Jazarī (t630h / 1230m): edited by Dr. Abd al-Salam Tadmurī, Dar al-Kitab al-Arabi, (Beirut, 2012 CE)
36. Kitāb almḥbr-rwāyḥ Abī Sa’īd al-Ḥasan ibn al-Ḥusayn alsskryy-, Ibn Ḥabīb, Abū Ja’far mḥmmad ibn Ḥabīb ibn Umayyah albgdhādī (t245h / 859m): corrected by Dr. Else Lichtenstätter, Dar al-Afaq al-Jadida Publications, (Beirut, n.d.)
37. Kitāb al-Wāfi bāl-wafayāt, alṣfdī, Ṣalāḥ al-Dīn Khalīl ibn Aybak (t764h / 1362m): edited by Ahmad al-Arna’ut and Turki Mustafa, Dar Ihya’ al-Turath al-Arabi, 1st ed., (Beirut, n.d.) 1420 AH/2000 CE)
38. Kitāb al-wulāḥ wa-kuttāb al-Quḍāḥ, al-Kindī, Abū ‘Umar Muḥammad ibn Yūsuf (t350h / 961m): Jesuit Fathers Press, (Beirut, 1908 CE)
39. Al-Lubāb fī Tahdhīb al-ansāb (The Essence of Refining Genealogies), Dar Sader, (Beirut, 1400 AH/1980 CE)
40. Mir’āt al-Zamān fī tawārīkh al-a’yān, Sibṭ Ibn al-Jawzī, Shams al-Dīn Abū al-Muzaḥḥar Yūsuf ibn qiz’ūghly ibn ‘Abd Allāh (t654h / 1256m): Edited and annotated by: [At the beginning of each part is a detailed list of the names of its editors] Dar al-Risalah al-Alamiyyah, 1st edition, (Damascus, 1434 AH/2013 CE)
41. Al-Masālik wa-al-mamālik, al-Bakrī, Abū ‘Ubayd ‘Abd Allāh ibn ‘Abd al-‘Azīz (t487h / 1094m): Edited by: Dr. Jamal Talbah, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 1st edition, (Beirut, 1424 AH/2002 CE)
42. Ma’ālim al-īmān fī ma’rifat ahl al-Qayrawān, alddbāgh, ‘Abd al-Raḥmān ibn mḥmmad ibn ‘Alī ibn ‘Abd allhh al’nṣārī al’syḍī (t696h / 1296m): edited by Abd al-Majid al-Khayali, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, 1st edition, (Beirut, 1426 AH)
43. Mu’jam al-buldān, Yāqūt al-Ḥamawī, Shihāb al-Dīn abw’bdāllh ibn Allāh (t626h / 1228m): Dar Sader, (Beirut, 1977 CE)
44. Al-Maghrib fī tartīb al-Mu’arrab, almttrizī, Abū al-Faṭḥ Nāṣir al-Dīn ibn ‘Abd al-Sayyid ibn ‘Alī (t610h / 1213m): edited by Mahmud Fakhoury and Abd al-Hamid Mukhtar, Usama ibn Zayd Library, 1st edition, (Aleppo, 1979 CE)

45. Al-Muqaffā al-kabīr, almqryzī, Aḥmad ibn ‘Alī ibn ‘Abd al-Qādir (t845h / 1441m): edited by: Muhammad al-Ya’lawī, Dar al-Gharb al-Islami, 1st ed., (Beirut, 1411 AH/1991 CE)

46. Al-Muntazim fī Tārīkh al-Umam wa-al-mulūk, Ibn al-Jawzī, Abū al-Faraj ‘Abd al-Rahmān ibn ‘Alī ibn Muḥammad (t 597h / 1200m): edited by Muhammad Abd al-Qadir Atta and Mustafa Abd al-Qadir Atta, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, (Beirut, 1412 AH/1992 CE)

47. Al-Mawā’iz wa-al-i’tibār bi-dhikr al-Khiṭaṭ wa-al-āthār (Sermons and Lessons from the History of Plans and Monuments), Dar al-Kutub al-Ilmiyya, 1st ed., (Beirut, 1418 AH)

48. Al-Nujūm al-Zāhirah fī mulūk Miṣr wa-al-Qāhirah, Abū al-Maḥāsīn, Jamāl al-Dīn Yūsuf ibn tghry Bardī al’tābkī (t874h / 1469m): Ministry of Culture and National Guidance, photocopied copy from Dar al-Kutub, (Cairo)

49. Wafayāt al-a’yān, Ibn Khallikān, Abū al-‘Abbās Shams al-Dīn Aḥmad ibn Muḥammad (t681h / 1282m): edited by Ihsan Abbas Dar al-Thaqafa, (Beirut 1986)

The reviewer

50. Athar al-qabā’il al-‘Arabīyah fī al-ḥayāh al-Maghribīyah mundhu al-Faṭḥ al-‘Arabī ilā suqūṭ al-Duwal al-Mustaḥqillah (23-296h / 643-909m), Muṣṭafā Abū Ḍayf Aḥmad (al-Duktūr.): Moroccan Publishing House, 1st ed., (Casablanca, 1986 CE)

51. Al-A’lām, alzzirkli, Khayr al-Dīn ibn Maḥmūd ibn mḥmmad aldmshqī (t1396h / 1976m): Dar al-Ilm lil-Malayin, 15th ed., (Beirut, 2002 CE)

52. Āl al-Muḥallab al-‘Umānīyūn fī al-Mashriq al-Islāmī mundhu zuḥūr al-Islām wa-ḥattā qiyām al-dawlah al-‘Abbāsīyah dirāsah wthā’qyt’, ‘Abd al-Mun‘im ‘Abd al-Ḥamīd Sulṭān (al-Duktūr): Modern University Office, (Alexandria, 2010 CE)

53. Tārīkh al-adab al-‘Arabī (al-juz’ al-Thānī), Farrūkh, ‘Umar: Dar al-Ilm lil-Malayin, 4th ed., (Beirut, 1981 CE)

54. Tārīkh al-Maghrib al-‘Arabī (al-juz’ al-Awwal), ‘Abd al-Ḥamīd, Sa’d Zaghlūl (al-Duktūr): Al-Maaref Establishment, (Alexandria, 1993)

55. Tārīkh al-nuqūd al-Maghribīyah ilā qiyām al-dawlah al-Fāṭimīyah, Ṭāhir Rāghib Husayn (al-Duktūr): First Edition, (Cairo, 1415 AH/1994)

56. Tārīkh Shamāl Ifriqiya mundhu al-Faṭḥ al-Islāmī ilā nihāyat al-dawlah al-Aghlabīyah, alth‘ālbī, ‘Abd al-‘Azīz: Edited by: Dr. Ahmed bin Milad and Muhammad Idris, Dar Al-Gharb Al-Islami, 2nd Edition, (Beirut, 1410 AH/1990)

57. Tārīkh Quḍāh al-Qayrawān min ladan al-Faṭḥ (80h) ilā al-ān (1352h) – al-juz’ al-Awwal, al-Jūdī, Muḥammad ibn Ṣāliḥ ibn Qāsim altmymī alqyrwānī (t1943m): Dar Kirans for Printing, Publishing and Distribution, 2nd Edition, (Tunis, 2014)

58. Tuḥfat al-a’yān bi-sīrat ahl ‘umān, alsālmī, al-Shaykh Nūr al-Dīn ‘Abd Allāh ibn Ḥamīd (t1332h / 1913m): Al-Istiqamah Library, (Muscat, 1997 CE - according to Dar al-Muqtabas)

59. Al-Khilāfah al-Fāṭimīyah bi-al-Maghrib, aldshrawy Farahāt: translated by Hammadi Al-Sahili, Dar al-Gharb al-Islami, 1st ed., (Beirut, 1994 CE)
60. Masājīd al-Qayrawān, Najwā 'Uthmān (al-Duktūrah): Dar Akrama, 1st ed., (Damascus, 2000 CE)
61. Ma'ālim Tārīkh al-Maghrib wa-al-Andalus, Mu'nīs, Ḥusayn (al-Duktūr): Dar al-Rashad, 5th ed., (Cairo, 1421 AH/2000 CE)
62. Al-Muhallab ibn Abī Ṣufrah, al-'Abbūd, Nāfi' Tawfīq (al-Duktūr): Dar al-Shu'un al-Thaqafiyya al-'Ammā, (Baghdad, 1988 CE) University Theses and Dissertations:
- University Theses and Dissertations:
63. Shi'r al-Mahālibah fī al'sr al-'Abbāsī ḥattā nihāyat q3h, al-Mūminī, Hamzah Ḍayf Allāh: Master's Thesis - Department of Arabic Language - Al al-Bayt University, (Mafrāq, Jordan, 2008)
64. Al-Maskūkāt al-Islāmīyah fī bilād al-Maghrib al-Adnā khilāl 'ahday al-Aghālibah wa-al-Fāṭimīyīn, ṣbryh 'Abd-al-'Azīz al-Tawātī kāzwz: Master's Thesis in Islamic History submitted to the Department of History - Faculty of Arts - University of Zawīya, Libya, Academic Year (2020-2021).
65. almaskukat almaghribiat min alfath alaslami alaa suqut dawlat bani hamad, salih bin qurbata: PhD Dissertation - University of Algiers - Institute of Social Sciences, (Academic Year 1982-1983)
- Journals and Periodicals:
66. hwl tasys mdynt alebasyt b'iifryqyt, Abdelhamid Fenina: Tunisian Journal of Social Sciences - Tunis, Vol. 44, No. 134, (Tunis, 2007)
67. aldawr alhadariu lilmuhalabat fi bilad almaghribi, Nasser bin Ali bin Salem: Al-Khalil Journal for Linguistic and Literary Studies, University of Nizwa - Al-Khalil bin Ahmed Al-Farahidi Center for Arabic and Humanistic Studies, Vol. 4, No. 7, (Muscat, 2019)
68. qudat shshaebanywn fi bilad almaghrib wal'andalus tarykh hafl bialeata'i", Al-Sanawi, Abdulrab (Dr.) Journal of Historical Studies - published by Bayt al-Hikma - Baghdad, Issue 46 - for the year (1439 AH/2018 AD).